

الفصل الثالث

الإسلام في غرب أوروبا

الاسلام والثقافة العربية في فرنسا

قليلون في عالمنا الإسلامى المعاصر هم الذين يعرفون أن الإسلام قد توطدت دعائمه ورسخ بنيانه وازدادت رقعته بعد أن انتشر من قلب الجزيرة العربية وأنه وصل في مدة الواسع إلى أرض فرنسا وكان على بعد ثلاثين كيلو متر من باريس عاصمة فرنسا الحالية حيث وصل الإسلام في حركته الامتدادية إلى بلدة سانس في سهول فرنسا الواسعة ، وأن المسلمون قد استقروا في فرنسا ما يقرب من قرنين من الزمان ، ومن هنا فقد كانت الضرورة ملحة لإلقاء الضوء على فرنسا المسلمة وكذلك الثقافة العربية الاسلامية بها وذلك لسكى يتعرف مسلموا اليوم على جزء من كفاح أجدادهم الأوائل الذين عملوا على نشر العقيدة الاسلامية السمحة في شتى بقاع الارض وخاصة أرض القارة الأوروبية .

وسوف نتناول هنا شرح النقاط الآتية :

- ١ - المد الإسلامى شمال جبال البرانس .
- ٢ - اتساع المد الاسلامى فى أرض فرنسا على يد ولادة الأندلس .
- ٣ - إحساس الفرنجة بالمد الاسلامى واستعدادهم لملاقاته .
- ٤ - المد الاسلامى يقف موقفا عند أبواب مدينة بواتيه .
- ٥ - الحضارة الاسلامية وثقافتها فى فرنسا .

أولا : المد الاسلامى فى شمال جبال البرانس :

كانت الفتوحات الاسلامية التى خرجت من الجزيرة العربية تتدافع كأمواج البحر تقتلع أمامها كل الأوثان وتحطم الأصنام وتفسر عقيدة الاسلام وكانت الفتوحات الاسلامية قد تخطت جبل طارق ووصل المسلمون إلى الأندلس وكان

لا بد أن يتبع فتح الأندلس قفزة أخرى إلى ماورائها من أرض الشمال لثمة عقيدة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وكانت فكرة موسى بن نصير عندما تم له فتح الأندلس أن يهبط جبال البرانس إلى أرض أرنسا ومنها يسير شرقاً لتحقيق مشروعه الكبير وفتح روما والقسطنطينية والوصول إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية ولكن من أجل هذا المشروع استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك قائده موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد ، وذلك خوفاً من أن يلعب النصر برأس موسى فيغترر بالمسلمين في أرض أوربا الواسعة ويقودهم في طريق لم يسلكه فاتح من قبل . ولولا تردد الخلافة الأموية وتردد خلفائها لاستطاع موسى بن نصير أن ينفذ مشروعه في اختراق أوربا من الغرب إلى الشرق والوصول إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية عن طريق روما والقسطنطينية وكان من المرجح أن تلقى النصرانية ضربتها القاضية في ذلك الوقت وذلك لأن الظروف السياسية والحربية كانت تساعد على اكتساح أوربا ونشر رسالة الاسلام بها ، ولكن مشروع غزو فرنسا لم يمت بنهاية عهد موسى بن نصير فقد ظهر المشروع مرة أخرى فنجده أيوب بن حبيب اللخمي وإلى الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى بن نصير يوجه جهوده نحو الشمال ليظهر البلاد من أية مقاومة رغم قصر مدة حكمه وأيضاً تتفق المصادر على أن الحر بن عبد الرحمن الثقفي قام بالغزو في أرض فرنسا وما وراء البرانس ، وتذكر أنه غزا جنوب فرنسا حتى أربونه عاصمة فرنسا الرومية وظل يغزو أهل هذه الأرجاء من فرنسا الجنوبية حتى اضطر سكانها إلى طلب الصلح ودفع الجزية للمسلمين والاعتراف بالسيادة الإسلامية على تلك الأنحاء التي بدأت تنطوي تحت لواء الراية الإسلامية في جنوب البلاد وإذا كانت غزوات الحر بن عبد الرحمن الثقفي هي بداية الزحف الإسلامي في أرض فرنسا على الرغم من أن المصادر العربية لم تشر إلى ذلك وإن كان المؤرخ الفرنسي د كوديرة ، قد أشار إلى فتوحات الحر بن عبد الرحمن الثقفي في أرض فرنسا وتصميمه إلى ضم تلك الأراضي الواسعة للدولة الإسلامية الكبرى.

ثانياً : اتساع المد الإسلامي على أيدي ولاية الأندلس :
لقد دخلت الفتوحات الإسلامية عهد جديداً يتولى السمع بن مالك الخولاني

ولاية الأندلس (١٠٠ هـ — ٧٢٠ م) في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، فقد نشطت حركة المد الإسلامي لنشر رسالة الاسلام وتعميق أثرها في نفوس الشعوب التي تسكن فيما وراء جبال البرانس ، وذلك لأن السمع بن مالك الخولاني كان رجلاً قوى الإيمان ، راسخ العقيدة عاملاً ما وسعه الجهد للجهاد في سبيل الله وكان حجم النشاط ، دائب الحركة والاستعداد لأنه بادر بمحاربة النصرانية ، وحول الحماس في نفوس الجند إلى جهاد وأراد تحقيق حلم موسى بن نصير في فتح تلك الأقاليم والوصول إلى دمشق شرقاً وقد قام السمع فعلاً بغزو ولاية سبستانية في جنوب فرنسا وبها سبع مدن كبرى وكانت عاصمتها أربونة ، وترك أرض فرنسا ثم انعطفت نحو الغرب حيث نهر الجاردن مستولياً في طريقه على ما يقابله من مدن حتى وصل إلى تولوز خاضرها واستولى عليها ، ويبدوا أن هذا النشاط العسكري الكبير الذي قام به السمع بن مالك قد أفرغ أهل أكويتانيه ، فنهض دوقها الدوق د أودو ، وسار بجيشه حتى لقي السمع ودارت معركة عنيفة على مقربة من « طولوشه » تولوز واشتد فيها القتال ، ولكن الجند المسلم الذي عرف بقوة إيمانه ورسوخ عقيدته ، قاتل وثابر وبذل الدم من أجل نشر العقيدة الاسلامية وكتب الله الشهادة لقائد جند المسلمين ، السمع بن مالك ولم يستطع الجيش الاسلامي العودة إلى قواعده بالأندلس إلا بفضل العناية الآلهية وبفضل أحد كبار جنده هو عبد الرحمن الغافقي وكان عهد السمع ذو أهمية كبرى في الجهاد في سبيل الله في أرض فرنسا ، إذ أن في عهده بدأت حركة الفتوح تأخذ وضع الاستقرار للجنود المقاتلة والحاميات في أرض فرنسا وأصبحت أربونة قاعدة أمامية لإتمام الغزو الاسلامي في تلك البلاد واتخاذها مركز لتجميع القوى الاسلامية للانطلاق منها لفتح كل فرنسا وبعد استشهاد السمع بن مالك الخولاني تولى قيادة الجند الاسلامي بالأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣ هـ — ٧٢٣ م) ولقد كانت البلاد في فوضى بعد استشهاد السمع واشتد النزاع والصراع بين العصبيات العربية التي بدأ يستفحل أمرها بالأندلس ولقد سلك عنبسة مسلك السمع الذي سلكه من قبل وهو مواصلة الزحف والغزو في أرض الفرنجة لرفع راية الاسلام على ربوع هذه الأرض وضماها إلى ديار الاسلام لكي تصبح الدولة

الثانية الكبرى في أوروبا بعد الأندلس ففكر في تدعيم خط الدفاع عن أربوته وكانت الأمون قد استقرت بالأندلس فعجل به النهوض للغزو في فرنسا .

ولكنه لم يسر في الاتجاه الذي سار فيه السمع بن مالك من قبل بل سار على الساحل فصعد بقواته المجاهدة في سبيل الله مع نهر رانه حتى أدرك قرقتونه فحاصرها وشدد عليها الحصار حتى نزل أهلها على شروطه ثم استولى عنبيه بعد ذلك على د نيمه ، ثم واصل زحفه يحذوه الأمل في الاستيلاء على كل الأراضي الفرنسية وضمها إلى ديار الإسلام ، ثم الاتجاه شمالا وشرقا لفتح باقي أجزاء أوروبا واستمر في زحفه الإسلامي الظافر حتى أدرك نهر ردانة وذلك دون أن يلقى أية مقاومة تذكر تعترضه في طريقة من الفرنجة وصمد مع النهر حتى وصل إلى نهر د ساوان ، واستولى على د أوتون ، ووصل إلى حوض الرون وفتح إقليم د بروفانس . واستمر في سيرة شمالا مستولياً على دليون ، حتى وصل إلى د أرتان ، في أعالي نهر الرون وكان عنبيه قد دخل في إقليم د يورجونيكا ، ويذهب المؤرخون إلى أنه استولى على مدينة د أوزه ، ووصلت الموجة الإسلامية الزاحفة حتى ما كون وشالون وهناك تفرقت الحملة الحربية الإسلامية إلى فرقتين سارت الحملة الأولى نحو د ديجون ، ودين د ولانجر ، فاستولت عليها وسادت الحملة الثانية في اتجاهها صوب د أوتون ، مرة أخرى ولم يقف تيار هذه الحملة التي خرجت غازية في سبيل الله إلا بالقرب من بلدة د سانس ، على بعد ثلاثين كيلومتر جنوب باريس الحالية ، وعاد عنبيه بمن معه من جنده الله بعد أن وصلوا إلى قلب فرنسا وغزا حوض الرون كله وتخطت القوات الإسلامية نهر اللوار وأصبحت على مسافة قصيرة جداً من نهر السين نفسه ، وبعد أن وصل عنبيه إلى هذه الأرجاء في قلب أوروبا الغربية عزم على العودة إلى الأندلس بسبب الاضطرابات التي كانت تسود الأندلس بين العرب أنفسهم وبين العرب والبربر وكانت هذه الأسباب القوية هي التي حالت بين عنبيه وبين إتمام فتوحه الإسلامية في فرنسا

وهناك أقوال كثيرة تذكر أن عنبيه لم يكن يريد من وراء هذه الغزوة الإسلامية الطويلة الزحف والاستقرار في فرنسا بل إنما كانت حملته إلى أرض فرنسا ، حملة قصد من ورائها التمهيد للحملة الإسلامية التي تأتي بعدها واكتشاف أما كن

الضعف في تحصينات العدو ، وكان المسلمون قد استولوا على إقليم سيبتانية وعلى عاصمته أربونه واستقروا بها واتخذوها قاعدة ومركزاً للعمليات الحربية المتقدمة شمالاً جبال البرانس وكان عنبسه قد أخذ بشار السمع واستولى على مدينة قزقوشة ولكن عنبسة لم يكن حذراً في اندفاعه في سهول فرنسا ولذا فإن الأعداء قطعوا عليه خط العودة واشتبكوا معه في معركة عنيفة بعد أن كنوا له بين الجبال وفي الممرات الفاصلة بين فرنسا والأندلس وانتهت تلك المعركة باستئهاة وذلك عند محاولته العودة إلى الأندلس ووقف المد الاسلامى في فرنسا عند هذا الحد مؤقتاً .

وينبغى أن نلاحظ هنا أن الحملة المؤمنة برسالة ربها العاملة على نشر دينها كانت جملة تشبه عقبة بن نافع الفهرى في اجتيازه شمال افريقيا بسرعة مذهلة ووصوله إلى المحيط الاطلسى كانت غارة بعيدة المدى تشق البلاد الفرنسية من الجنوب إلى شمال وتطلع المسلمين على أحوالها وتمد لما بعدها ولو استقر عنبسه في ليون مثلاً أو في إحدى مراكز فرنسا الوسطى لمكان يمكن القول إنه فتح جنوب فرنسا ، بل كاد يفتحها كلها ، أما وقد عاد إدراجة لظروف الأندلس الداخلية ، بعد أن قطع نحو أكثر من ألف ميل شمال قرطبة فإن حملته الرائعة أوضحت الروية أمام المسلمين على حالة هذه البلاد وما هو الضعف الذى أصابها والانهيار الداخلى ، على أنه مهما يكن القول فإن عنبسة بن سحيم السكبي ، ينفرد بين الفاتحين المسلمين بهذا الفخر باوصول بالراية الإسلامية رأية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله إلى قلب أوروبا واستولى على إقاليم واسعة لم يسبقه إليها فاتح إسلامى من قبل ومن بعد وأنها هى المرة الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية التى تصل فيها قواتنا إلى بعد لا يزيد عن ثلاثين كيلو متر جنوب باريس حالية وكان مصير فرنسا قد تقرر في أيدي المسلمين لولا الاضطرابات الداخلية في الأندلس .

وتولى بعد استئهاة السكبي ، قيادة القوات العائدة جنوباً وكذلك أمور الأندلس د عذرة بن عبد الله الفهرى ، وتذكر الروايات التاريخية الأوروبية والاسلامية أن المسلمين قاموا بأعمال حربية خطيرة بعد استئهاة عنبسة مباشرة في أرض فرنسا ، ونهض قادة المسلمين وعادوا إلى حوض الرون وغزوا بلاد

« الألبين ، وإقليم « روبرج » و « وصفودان » و « ليقليه » ، وهذه الحملات كما ذكرتها الروايات على جانب كبير من الصحة ذلك لأن القائد المسلم المجاهد عبد الرحمن العافقي ، حينما قام وعبر جبال البرانس وجد المسلمون الذين يعيشون في أرض فرنسا في حالة طيبة وروحهم المعنوية عالية جداً ولو أن تقدمهم وقف عند أعمال عنيسة وهو الرجوع إلى الأندلس ، لما استطاع عبد الرحمن العافقي أن يقوم بهذا العمل الاسلامي والحربي الكبير بالفتح في بلاد فرنسا .

ثالثاً : إحساس الفرنجة بالمد الاسلامي وإستعدادهم للاقتاتة :

كانت الغارة الاسلامية القوية والعنيفة التي قام بها عنبسة بن سحيم السكبي في نواحي فرنسا كلها واستيلائه على إقليم « بورجونيا » الذي هو جزء من إمبراطورية الفرنجة ، قد ألقى الفزع في معظم الدوقيات الجنوبية والوسطى ، وشعرت إمبراطورية الفرنجة أنها أمام خطر دائم لا بد من أن يكتسح إمبراطورية الفرنجة كلها وبدأ واضحاً أن الحملة القادمة ستكون حملة حاسمة في تقرير مصير هذه البلاد المترامية الأطراف ، وهو أن المسلمين لا بد لهم من أن يواصلوا فتح باقي أنحاء إمبراطورية الفرنجة ومواصلة الزحف نحو الشمال ، وهكذا وقفت هذه الانتصارات الاسلامية العظيمة والزحف السريع والقوى لعنبسة السكبي إلى أن يتحالف أبناء الشمال الأوربي تحت قيادة « شارل مارتل » وأن يقتنسى الدوق أودد دوق أكونياتية عداءة القديم لشارل مارتل وبدأ يعمل سرياً بمناصرة بعض الجيوش الأخرى لوقف المد الاسلامي الزاحف من الجنوب لاحتواء هذه الأقاليم في دولة الاسلام الكبرى وذلك بكل ماوصلت إليه أيديهما من وسائل حرب وأسلحة مختلفة ، وكانت الظروف في ذلك الوقت تساعد على التحالف بين شارل مارتل والدوق أودو فقد تولى عبد الرحمن العافقي ولاية الأندلس (١١٢ هـ — ٧٣٠ م) وكان عبد الرحمن جندياً قوى الإيمان شديد الشكيمة والعزيمة ، قضى أيامه عاملاً في جيوش الاسلام للغازية فيما وراء البرانس وشهد كل الحملات الاسلامية التي اخترت جبال البرانس لفتح أراضي فرنسا ، وكان يمتاز بشجاعة نادرة ومقدرة عظيمة على خوض المعارك والحروب وكان

من نوع عقبة بن نافع الفهري ، النوع الذى تستهويه الغارات البعيدة المدى والضربات المدوية وكان من طراز الفاتحين الذين يرمون خطط الفتح الثابت المستقر فيمدون إلى مراكز المقاومة ويهاجمونها لكي يتم الفتح وتدخل البلاد في جوزة الاسلام .

وكان عبد الرحمن قد أبلى بلاء حسناً في موقعة طولوشة التى قتل فيها السمع بن مالك الخولاني وهو الذى قاد القوات الاسلامية بعد مقتله وعاد بها إلى الأندلس وكانت هذه الموقعة قد تركت في نفسيته أثر عميقاً لذلك كان توافاً لملاقاة الفرنجة، ومن ثم فقد أعلن عبد الرحمن الجهاد في سبيل الله ضد الفرنجة والتصميم على فتح بلاد الفرنجة كلها لكي تصبح ولاية إسلامية تجاور الأندلس شمالاً ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، إذا كانت الثورة قد انتفضت في الشمال من الأندلس بقيادة زعيم مسلم من زعماء البربر هو عثمان بن أبي نعسه الخشعمي وتسمية الروايات الأجنبية « مونوس » وكان لما أحس بالظلم الواقع على بنى جلدته من البربر قام بالثورة وتحالف مع الدوق « أودو » ضد عبد الرحمن الغافقي وإلى الأندلس لأن الروايات تذكر أن عثمان « مونوس » كان قد تزوج ابنة الدوق « أودو » ثم أصبح التحالف بينهما واضحاً ولذا فإن عبد الرحمن جرد لإليه الحملات حتى تم قتله وكان هذا يرتبط بالدوق « أودو » بمعاهدة صداقة فلما قتل مونوس شعر « أودو » بالخطر وحس شارل مارتل والدول الشمالية على الأخذ بأهمية الاستعداد وتجميع الجيوش لملاقاة المسلمين الذين كانوا قد عقدوا العزم على الاستيلاء على فرنسا كلها وضمها لدولة الاسلام الكبرى .

رابعاً : وقف المد الاسلامي عند ابواب ايوتيه :

عبر عبد الرحمن الغافقي جبال البرانس عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م وتذكر المصادر العربية والاسلامية أنه كان يقود قوات تقدر بسبعين ألف رجل أو مائة ألف مقاتل وكان أكثر هؤلاء من البربر لأن معظم العرب كانوا مشغولين بالمنازعات العصبية أو كان معظمهم قد توزع في الأرياف ، وكان معظم العرب من القوات المنيية وكان من بينهم من يسكنون جبال البرانس ، ولكن عبد الرحمن لم يكن

رجلا سياسيا بمقدار ما كان قائداً حريياً وذلك لأنه قضى على ثورة « مونوس » ولم يستطع أن يكسب قلوب البربر الذين كان يتألف منهم معظم جيشه ولو فعل ذلك لوصل المسلمون إلى قرب نهر السين وكان عليه أن يعضى إلى قلب الدولة الفرنجية .

لكن « أودو » لما رأى وعلم بتلك الحشود القوية تأهب للدفاع عن مملكته وبدأ الفرنجية والقوط في الولايات الشمالية من الأندلس بالتحرك لمهاجمة المواقع الإسلامية وكان عبد الرحمن يتوق للاجتهاد في سبيل الله والعمل لاجتياح مملكة الفرنجة كلها ، فلما رأى الخطر يحرق بالولايات الشمالية من البلاد ، لم يرى بداً من التحرك والسير نحو الشمال قبل أن يستكمل أهميته واستعداده العسكري ، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيرة المسلمون إلى فرنسا لأنه كان يريد أن يكون فتح بلاد غاله على يديه واخترق جبال البرانس في سرعة مذهلة وذلك من ممرات روستفالة ولم يسلك الطريق المألوف الذي سار فيه المسلمون قبل ذلك بل سلك الطريق الذي يؤدي إلى اكويتانية بلاد « أودو » مباشرة ولما وصل إلى تلك الأراضي عرج إلى وادي الردانة ، واستولى على مدينة آرل لخروج أهلها عن طاعة المسلمين وتوقفهم عن دفع الجزية ، ثم توجه إلى الغرب فهاجم الدوق « أودو » الذي كان قد تحرش بالمسلمين في الولايات الشمالية بعد مقتل مونوس واستطاع أن يهزمه هزيمة قاصمة فقد فيها عدداً كبيراً من قواته ودخل المسلمون عاصمته « برdal » ثم توجهوا إلى مدينة تور على نهر اللوار واستطاعوا الاستيلاء عليها ، وبعد ذلك رأت قوى النصرانية بما وصل إليها من إمدادات عسكرية من جهات مختلفة ، بعد أن انسحب « أودو » بقواته شمالاً لينضم إلى قوات شارل مارتل والذي كان قد بدأ يشعر بالخطر الإسلامي منذ أن استولى المسلمون على مقاطعة « بورجوينا » وصعدوا مع النهر حتى قاربوا « اللوار » واستعد شارل مارتل لملاقاة الجند الإسلامي وحشد ما وصلت ، إليه يده من قوات وكان جنود الله ، جنود المعسكر الإسلامي في حالة معنوية عالية لا ينقصهم الإيمان وكيف وقد خرجوا من الأندلس يريدون النصر أو الشهادة وكان أغلبهم ذو خبرة بالقتال في هذا الإقليم ولكن كانت هناك أمور تحول دون امتداد المد الإسلامي إلى الشمال والتوسع في الأراضي الواسعة الواقعة شمال جبال البرانس ،

المهم تقابل جيش الإيمان بقيادة عبد الرحمن الغافقى وجيش الكفر بقيادة شارل مارتل فى شال مدينة « بواتيه » فى اتجاه مدينة تور على الطريق الرومانى القديم بين البلدين وحدثت معركة بلاط الشهداء واستشهد القائد الاسلامى عبد الرحمن الغافقى وانسحب المسلمون من أرض المعركة .

خامسا : الحضارة العربية الاسلامية :

لم يكن بقاء العرب والمسلمون فى جنوب فرنسا لعدة قرون إلا لىترك أثره القوى والواضح فى البلاد فقد ترك المسلمون أثرا عميقا فى اللغة الفرنسية وفى الدم وذلك لاستقرار أناس كثيرين منهم بالقرب من المدن التى استولوا عليها وفى ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسيين أنفسهم أن الدم العربى لازال متغلبا فى جنوب فرنسا ولا سيما فى برست وغيرها فى المدن وفى جبال الألب وفى إقليم السافو إذ نرى إلى اليوم أناسا سخنتهم عربية صرفة ولهم لغة خاصة ويسمىهم أهل تلك الارحاء بالشرقيين ولم يزل هؤلاء فى عزلة عن الفرنسيين ولا يتزوجون من غير جماعاتهم ومن عاداتهم ألا يقيموا المراقبة فى حفلاتهم ويتحجب معظم نساءهم وتحمل الكثير من أسمائهم اسم الله ظاهرا كعبد الله وفتح الله وهم يحفظون أ نسابهم ويفتخرون بأنهم من سلالة العرب الفاتحين لهذه الارحاء التى خضعت لنفوذ أجدادهم وسيطرتهم فى عصر الاسلام الزاهر فى القارة الأوروبية ولقد وضع العرب فى الأراضى الفرنسية الخاضعة لنفوذهم نظاما إداريا لإدارة هذه النواحى من إمبراطورية الفرنجة وكان المسلمون أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحى طمعا فى كسبهم إلى جانبهم وطمعا فى إقناعهم باعتراف الدين الاسلامى والخروج من دين الوثنية الذين يعيشون عليه ، وكانت الحاميات الاسلامية فى جنوب فرنسا تسكن فى القلاع والأبراج التى بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعة شمال جبال البرانس والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامى ، وكانوا يقيمون بإقرار السلم والنظام بين أهل تلك النواحى وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية الغراء .

وقد ترك المسلمون لأهل تلك النواحى فى فرنسا حرية ممارسة شعائرهم

الدينية وعدم إجبارهم على الدخول في الدين الإسلامى لأنه لا إكراه في دخول دين الإسلام ، بل كانوا يحاولون كسب رجال الدين المسيحي إلى جانبهم ، ولكن هناك آراء غربية تقول بأن المسلمون لم يمتلكوا الأراضى الواقعة في تلك المناطق ولم يشتغلوا بالفلاحة والزراعة وذلك لاضطراب الأحوال المستمرة في تلك الأرجاء وعدم استقرار الأراضى في أيديهم وذلك لأن سكان هذه الأرجاء من المسلمين ظلوا يقيمون في المدن أو القرى الكبيرة أو يخرجون للغزو في الشمال ومن هنا لم تسنح لهم الفرصة للانتشار في هذه الأراضى الواسعة وامتلاكها والاختلاط بأهل تلك النواحي ونشر تلك الرسالة الإسلامية الخالصة بين أهلها وتربيتهم ، وليس معنى هذا أنه لم توجد أعداد كبيرة من سكان تلك الأرجاء قد دخلت في دين الله أفواجا بل العكس فإن سكان هذه البلاد قد أحجوا المسلمين وتغافوا في خدمتهم وكرهوا شارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهم في تلك الأرجاء وقدموا لهم كل القسهيلات اللازمة وأنهم دخلوا في الاسلام كافة وعملوا على تعلم اللغة العربية ولو طال بقاء المسلمين في هذه الأرجاء مثل الأندلس لرأينا من بينهم العلماء والفقهاء والقضاة ورجال الدين الفرنسيين وكما حدث في الأندلس كان سيحدث بينهم .

ولكن هناك آراء تقول أن سكان شمال البرانس قد دخلوا في دين الله أفواجا وأن هناك جماعات قد اختلطت بالعرب واعتنقت الدين الإسلامى واتخذته عقيدة لها والأكثر من ذلك فإن جهود المسلمين لم تكن قليلة ولا عابرة وإنما كانت جهوداً مضنية قصدوا من ورائها مدنداء الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله على غرب أوروبا ، بل القارة الأوربية كلها وأنهم لم يدخلوا فرنسا غزاة ناهيين ولا حكماً طامعين ولا سياسيين محترفين كما تقول بذلك الروايات النصرانية ولم يضعوا الغنائم جل مهمهم والأسلاب مقصدهم ، بل دخلوها أصحاب رسالة وعقيدة وعاملين على نشر رسالتهم السمحة بين أهل تلك الديار وإدخال هذه البلاد في دائرة المد الإسلامى وتحويل أهلها إلى أمة مسلمة تشارك في بناء الحضارة الإسلامية كذلك فقد أدخل المسلمون كثير من الصناعات التي لم تكن معروفة في فرنسا من قبل وقد أشار إلى ذلك غوستاف لوبون في كتاب حضارة العرب ومنها صناعة البسط

إلى أبوستون والورق والنسيج والصباغة والدباغة وصناعة الجلود وأنهم كانوا
ذا أثر فعال في تمدن الجزء الجنوبي من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم
والحضارة فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لم يقتصر
فضل المسلمون على ترقية العلوم بما اكتشفوا بل بما فثروا من معرفة وثقافة
وحضارة وأقاموا من جامعات وألقوا من كتب في مختلف المعارف الإنسانية
التي كان لها الأثر البالغ في فرنسا بل في أوروبا بأكملها وأنهم كانوا أساتذة الأمم النصرانية
بما فيها فرنسا لعدة قرون ولو بسط المسلمون لواء الإسلام على فرنسا كلها لتغير
وجه القارة نهائياً في ذلك الجزء من العالم ولسادت الحضارة الإسلامية فرنسا
كلها كما سادت الأندلس ، وبالنسبة للغة العربية فإنها أثرت أثراً عميقاً في اللغة
اللاتينية وتركت لغة القرآن الكريم أثراً مهماً في اللغة الفرنسية نفسها وأن اللهجات
السائدة في ولايات أفرون وليموزين الفرنسيين بهما كثيراً من الكلمات العربية لاسيما
أسماء الاعلام فإنها ذات سمة عربية وكذلك أسماء بعض الأما كن .

وقد ذكر أحد مؤرخي الغرب « سيديو » قوله أنه من الطبيعي أن تقتبس
فرنسا وإيطاليا من العرب الذين كانوا سادة البحر المتوسط الشيء الكثير فقد اقتبس
أهل فرنسا كثيراً من الاصطلاحات التي كانت مستخدمة في البحرية الإسلامية
وكذلك تعابير وأغاني الحرب ، وأيضاً أخذوا عن العرب استعمال البارود الذي
يستخدم في المدافع والقنابل والحراقات والقذائف ، وقد أخذوا عن حكومات
بغداد وقرطبة والقاهرة معظم التعابير الإدارية ، وقد قلد ملوك الأسرة الثالثة
الفرنسية العرب في كل شيء ، فأخذوا عنهم معظم اصطلاحات الصيد وكذلك
اقتبسوا كثيراً من الاصطلاحات العربية وأسماء الكواكب وعلوم الرياضة
والكيمياء والتاريخ الطبيعي ، ومن هنا فإنه يمكن القول أن المسلمين قد عملوا
على نشر المعرفة الإسلامية حولهم لبعض الأساليب والفنون التي لم تكن تخطر
ببال الفرنجة بعد ، وإن كثيراً من المؤثرات قد تقبلتها فرنسا عن الاسلام ،
وإن فرنسا اقتبست كثيراً من الأشياء التي تدين بها للاسلام ومنها الفن الاسلامي
وخاصة الزخرفة داخل المباني وخارجها وكذلك ظهر أثر الفن الاسلامي في فن

البناء وكذلك وجد في جنوب فرنسا عدداً من الآثار المدنية الجميلة والصنائع العسكرية ذات النفع العام كالجسور والأقمية المائية المعلقة .

وبهذا فإن الطابع الاسلامى الذى أبقاه العرب والمسلمون الفاتحون لهذه الأنحاء من فرنسا كان ذا أثر عظيم فى رقى البلاد وتحضرها وأنهم شاركوا مشاركة فعالة وعظيمة فى شئون التهذيب العقلى الغربى، وأن آثار الحضارات العربية العظيمة فى فرنسا ، تفوق الحضارات التى تركتها الشعوب الجرمانية وذلك لتفوق العرب والمسلمين فى الحضارة فى ذلك الوقت لأنهم كانوا أساتذة الحضارة العالمية .

كذلك فإن المسلمين قدموا الكثير من الأعمال العلمية فى فرنسا والتى خدمت الحضارة العالمية ولو شاءت الإرادة الإلهية للمسلمين بأن يتقدموا للاستيلاء على كل فرنسا وطال مقامهم بأرضها لكانوا أسهموا إسهاماً أفضل فى تحضر فرنسا ورقىها .

ومن هنا فإنه يحق لنا نحن الأحفاد أن نفخر بما أثر الأجداد وآثارهم الحضارية فى فرنسا وبما قدموه من أثر حضارى فى تلك البقعة من القارة الأوروبية .

الاسلام والمسلمون فى فرنسا

بعد معركة بلاط الشهداء

ذكرنا أن المسلمون تقدموا فى الأراضى الفرنسية يرفعون راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ليرفعوها خفاقة عالية فوق أرض القارة الأوروبية وأنهم وصلوا فى زحفهم فى تلك الأراضى الفرنسية حتى وصلوا إلى مدينة سانس على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس عاصمة فرنسا الحالية وأنه فى سهول فرنسا الواسعة دارت معركة بلاط الشهداء أو معركة إيوانية بين القائد المسلم الشجاع الشهيد عبد الرحمن الغافقى وبين قادة الشرك بقيادة شارل مارتل وشاءت الإرادة الإلهية أن تكون هذه المعركة حاجزاً دون اندفاع المد الاسلامى ليشمل القارة الأوروبية كلها ولكن رغم وقوع هذه المعركة وتخوف المسلمين من الاندفاع فى سهوله

فرنسا لفترة قصيرة ، ورغم قصر الحديث عن هذه المعركة في المصادر العربية حتى أنه لم يأت ذكرها إلا في سبعة سطور في مصادر عربية متفرقة ، ورغم إفاضة المصادر النصرانية في الحديث عن هذه المعركة وعن نتائجها ، وتوقف المد الإسلامي عن السيطرة واحتواء القارة الأوروبية .

إلا أنني هنا سوف أبين للقارئ العربي والمسلم جزء من كفاح الأجداد على أرض فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء ، لنتمين كيف أن الغزو الإسلامي لم ينوقف في سهول فرنسا الجنوبية ، بعد تلك المعركة ، وإنه لم يكن في قوة اندفاعه كما كان في العهد السابق للمعركة ، وتذكر المصادر أنه بعد استشهاد عبد الرحمن النافقي وعودة القوات الإسلامية إلى الجنوب فإن الجيوش العائدة من أرض المعركة اتجهت إلى أربونة ومرت على مقربة من جبرية ، وغزت في طريقها بلدة ليموزين ودمروا مدينة سولتيال وحين أحسوا أن أحداً من النصارى لا يتبعهم تمهلوا في السير واستجمعوا صفوفهم واتجهوا صوب الأندلس ، وكان من أثر هذه المعركة أن تعجل الوالي العربي على أفريقيا عبيدة بن عبد الرحمن بتولية عبد الملك بن فطيم الفهرى والياً على الأندلس وكان أول عمل اهتم به عبد الملك هو السير إلى الأراضى الفرنسية بعد أن وحد كلمة جنوده وجمع قواتهم وذلك لإقرار أمر المسلمين بتلك الأنحاء ، وأنه توجه بنشاطه إلى النواحي الشمالية من الأندلس فهاجم أرغون وفيرة ، وأقر الأمن والسلام بهما ثم عبر جبال البرانس ووصل إلى مدينة لانجيدوك واهتم ببناء المعاقل والحصون وحصن القلاع القديمة التي كانت لا تزال بأيدي المسلمين وأمدّها بالرجال والعتاد وقام ببناء قلاع جديدة أخرى وكان أهل سبتمانية قد خشوا أن يقموا تحت سيطرة شارل مارتل فاستعانوا بالعرب المتحصنين في أربونة ، وحالفوا جند الإسلام وثبت المسلمون في ولايتي بوجونيا وليون ، بعد أن أمرهم قد تخرج وعدوا كالمحصورين في قلاعهم وكان قائد جيش المسلمين في ذلك الوقت في أربونة وباقي ولايات فرنسا الجنوبية رجلاً مسلماً قوى العقيدة والإيمان استطاع الثابت في تلك الأنحاء بما تبقى له من جيش المسلمين وتطلق عليه المراجع النصرانية يوسف وأنه ربما يكون يوسف الفهرى الذي ستؤول إليه ولاية الأندلس فيما بعد والذي سوف يعمل على توطيد النفوذ الإسلامي في الأجزاء الجنوبية من فرنسا .

غزوات يوسف الفهرى :

كان يوسف قد جمع قواته وسار فعب نهر الردانه واستولى على مدينة آرل وأطلق يد جنده فيها ثم استطاع أن يتوغل في أرض بروفانس واستولى بعد حصار طويل ظهرت فيه شجاعة الجند المسلم وبسالته وحرصه على نشر الرسالة الإسلامية على بلدة « فرنا » ، ثم توجه بعد ذلك نحو أبفسون واقتحمها على أهلها وتم له الاستيلاء عليها ووصلت جيوش المسلمين إلى نهر « الديوراس » ووقفوا عند هذا الحد بعد أن استعادوا بقيادة يوسف هذا ، جزء عظيم من الأراضي الفرنسية ، كانوا قد فقدوه بعد معركة بلاط الشهداء وخرج من تحت السيطرة الإسلامية وهكذا ثبتت أقدام المسلمين في هذا الجزء من فرنسا ولم يجرؤ أحد على منازعتهم السلطان فيها .

ونقف هنا وقفة قصيرة لكي نرى على الذين مجدوا معركة بلاط الشهداء من المؤرخين النصارى ونقول لهم إن شارل مارتل لو انتصر نصراً حاسماً كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذى منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوباً إلى الأندلس ، والاستيلاء على باقى الممتلكات الإسلامية في جنوب فرنسا ، ولو أنه كسر شوكة المسلمين كما تقول تلك المصادر الكارهة للإسلام ورسالته السمجة فكيف استطاع عبد الملك الفهرى ومن بعده يوسف الاندفاع إلى أرض الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين في هذه الأراضى ، وما الذى دفع جند أربونه للسير إلى الشمال والاستيلاء على أراضى جديدة في فرنسا وفتح تلك الأقاليم مرة أخرى ، ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامى في جنوب إمبراطورية الفرنجة ، ولم يفكر في السير للقاء الزحف الإسلامى القادم من الجنوب ، وعلى الأقل إرسال إحدى فرقته الحربية لمقاتلة المسلمين ، وذلك مع فهمه الشديد لحب ضم الأراضى وتوسيع إمبراطوريته وطمعه في توطيد سلطانه ، وقد يكون هذا من الأسباب التى دفعت المسلمين إلى أخذ زمام المبادرة والقيام بتوطيد النفوذ الإسلامى في الأراضى التى تم الاستيلاء عليها من قبل .

ونقول أن الذي دفع شارل مارتل إلى انصرافه على مقاتلة المسلمين وتجنبه اللقاء معهم بعد معركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهم وعرف قوة إيمانهم وجلدهم وصبرهم وقدرتهم على القتال ، فصار بعد ذلك يتجنب الدخول في معركة واسعة معهم ويخشى اللقاء معهم في معارك كثيرة وقد رأيناه يتحوف من تتبعهم وأنه لولا حركة الدوق ، أودو ، ومهاجمته معسكر الغنائم الذي كان يقع خلف الجند الاسلامي في معركة بلاط الشهداء لما استطاع الفرنجة أن يوقفوا المد الاسلامي في تلك المعركة عند هذا الحد ولتغير وجه التاريخ في القارة الأوروبية كلها . وكان عهد الملك الفهرى قد اطمأن إلى شجاعة قائده يوسف في أربونه فوجه جهوده إلى إمارات البرانس الشمالية ليكسر شوكة أهلها ، بعد أن تمردوا على الحكم الاسلامي بعد معركة بلاط الشهداء وقد كملت جهوده بالنجاح وتم له سحق التردد .

نزوات عقبة :

كان عقبة هذا رجلاً مجاهداً مثله مثل عبد الرحمن الغافقي وكان مسلماً صلباً قوى الايمان والعقيدة عادلاً متفانياً في القيام بأعباء منصبه الجديد فصرف جهوده أولاً إلى إقرار أمور البلاد وإشاعة العدل بين الناس ولما تم له ما أراد اتجه إلى الغزو ، وكان المسلمون بعد أن ثبتوا أقدامهم وفرضوا نفوذهم في إقليم بروفانس قد تحصنوا في المدين السكبرى وحولوها إلى قلاع ، ثم ظلوا يراقبون الأحداث حتى عبر إليهم عقبة جبال البرانس فنهضوا معه رغبة في الجهاد والاستشهاد ، وساروا نحو دوقية واستولى عقبة عليها ، ثم استولى على مدينة « سان بول ترده » و « دونريز » ، ثم اتجه نحو الشمال في جرأة وحزم وتصميم على القتال ودمر جند الشرك ، فاستولى على إقليم فالانس وأيضاً مدينة فيتين وكان من معه يجاهدون ولا يجحدون في طريقهم مدينة إلّا واستولوا عليها ورفعوا فوقها راية الاسلام ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صعد عقبة نهر رده حتى أعاد فتح إقليم بورجونيه كله واستولى على ليون من جديد وامتد جناح الفتوحات الاسلامية شرفاً ورفرت رايتهم على إقليم دوفنين حتى وصلت إلى « بيدةمت » في شمال إيطاليا وبدأ المسلمون يستعيدون مراكزهم من جديد في أرض فرنسا كلها .

تحرك شارل وفشله امام المسلمين :

أحس شارل مارتل بالخطر مرة ثانية بعد أن تقدم المسلمون من جديد في أرض فرنسا الجنوبية ودعوا مواقعهم السابقة لمعركة بلاط الشهداء وكان شارل قد انتهى من حروبه مع أعدائه في شمال البلاد، ومن ثم فقد تفرغ للسير نحو الجنوب، واستطاع أن يحمّد قوات عسكرية كبيرة لدفعها إلى الجنوب وولى أخاه شلد براند قيادتها على أن يساعده ملك بيدمنت الإيطالي الذي بدأت أراضيه تدخل في حوزة الاسلام والمسلمين وذلك لوقف زحف المسلمين إلى الشمال ووصل شلد براند إلى ابفسيون وكان المسلمون قد أحسنوا تحصينها وحشدوا فيها الرجال والعناد فعجز عن فتحها وعن كسر مقاومة جند الله بها ، فاستنجد بأخيه شارل نفسه بعد أن استحال عليه المدينة . وجاء شارل بجند كثير وشدد الأخوان الحصار المحكم على المدينة وأمام هذا الضغط الطويل والعنيف واستمرار الحصار وقلة المؤن والعناد وعدم وصول المدد الاسلامي من الجنوب لهذه المدينة المحاصرة ، فلم يستطع المسلمون الاستمرار في الدفاع عن ابفسيون ولاسيا وقد تأخر وصول الامدادات الحربية من الأندلس ، ومع هذا فإنهم رفضوا تسليم المدينة واستماتوا في الدفاع عنها ودافعوا دفاع الأبطال ، ولكن الفرنجة استطاعوا فتحها واستخدموا كل وسائل القتل والحرق والهدم ضد المدينة وسكانها من المسلمين ، وجاءت إلى المدينة جيوش جرارة من الفرنجة أزال كل أثر للمسلمين في تلك المدينة، وبعد ذلك تقدم جيش الفرنجة إلى الجنوب نحو أربونه يقوده شارل مارتل صاحب معركة بلاط الشهداء ومعه أخيه وقوات ملك بيدمنت الإيطالي وذلك على معقل المسلمين الرئيسي في فرنسا وكان قائد جند المسلمين في تلك الأنحاء في ذلك الوقت رجلا مسلماً اسمه ههرثمه ، جمع قوات المسلمين حوله وحصن المدينة واستعد للدفاع عنها حتى آخر جندي مسلم وشدد شارل الحصار على مدينة أربونه بقوات كبيرة ودافعت حاميتها الاسلامية عن أرضها ومدينتها دفاع الأبطال ، فلم يدرك شارل وجنوده منها أي منال وزعم أنه شدد الحصار إلا أنه اضطر إلى رفع الحصار والتقهر أمام الدفاع الاسلامي القوي وعاد إلى الشمال بعد أن فشل في فتح مدينة أربونه واستطاع المسلمون أن يكبدوه خسائر فادحة عند انسحابه

وذلك بسبب مهاجمتهم مؤخرة جنده وأسر العديد من هذه القوات ، ويبدو أن نصارى هذه النواحي قد شجعوا المسلمين على الدفاع عن المدينة وأمدوهم بالمساعدات وعملوا على عدم مساعدة شارل مارتل في هذا الهجوم وبذلك فإن شارل أراد أن ينتقم من أهل فرنسا ليعزى نفسه عن الفشل أمام حصون أربونه القوية ، غرق حصون النصارى في الجنوب وخرب مدينة بيزنثة واجدة ونيمة وكانت هذه من المدن الزاهرة في الجنوب في ذلك الوقت ، وهذا يدل على أن نصارى جنوب فرنسا كانوا يفضلون حكم المسلمين على حكم شارل مارتل والفرنجية .

ويضيف أحد مؤرخي الغرب واسمه رينو ، ذلك فيقول أن شارل مارتل كان مكروهاً من أهالى فرنسا الجنوبية وذلك لأنه كان يريد أن يضمهم إلى إمبراطوريته وإن أهالى هذه المناطق كانوا يصفون القاديين من الشمال بأنهم برابره متوحشون بينما هم أحفاد شعب الإمبراطورية الرومانية ، وأنهم أحبوا المسلمين لما كان يتصفون به من العدل والتسامح والرحمة بين القوم بما جاءت به شريعتهم الإسلامية وكان قائدهم في جنوب فرنسا عقبة بن الحجاج السلولى ، رجلاً اشتهر بالعدل وإيثار الحق وتذكر المصادر النصرانية نفسها عن عقبة هذا أنه كان الرجل الذى إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يدعو له الإسلام ويبين له فضائله حتى يحجبه فيه فيتم اعتناقه ، فأسلم على يديه كثيراً من النصارى ، وبذلك يبين لنا أن عقبة ومن عمل تحت إمرته من المسلمين كانوا يؤثرون الرفق مع الأسرى وهذا يدل على حسن تصرف المسلمين مع أهالى فرنسا الجنوبية وانضمام هؤلاء إلى المسلمين ومؤازرتهم إياهم على ملك الفرنجة والدوق أودو وغيرهما من أجلاف الجرمان ، وليس أدل على تحالف نصارى الجنوب مع المسلمين من أن الدوق ماردينت دوق لإقليم بروفانس قد عاد إلى بلاده بعد فشل حملة شارل مارتل في فتح مدينة أربونه وعقد تحالف مع المسلمين واستولى على إقليم بروفانس بأكمله ولكن المسلمين لم يقفوا مكتوفى الأيدي أمام هذا التحدى الذى واجهوه بعد انسحاب شارل مارتل بل أنهم جعلوا كل جهودهم بعد ذلك في معاودة الاستيلاء على إقليم بروفانس ودوفينه من ناحية البحر واستخدام القوات البحرية في السيطرة على

هلك الانحاء وقد حالهم الحظ بموت شارل مارتل واضطراب الأمور في مملكته بعد موته وظهور التنافس بين أبنائه ، لكن الظروف لم تساعد المسلمين على الاستفادة من هذه الفرصة استفاده كاملة ولا حتى انتهازها ، ذلك لأن فتنة البربر في الأندلس وأفريقية كانت إذ ذاك على أشدها ، فتوقف المسلمون عن إمداد قواتهم الإسلامية فيما وراء جبال البرانس وكان عقبة بن الحجاج قد توفي في صفر ١٣٢ هـ يناير ٧٤١م وصار الأمر مرة أخرى إلى عبد الملك بن فطان الفهري وكان هذا من طائفة البينية ولقد كان من أثر تعصبه لبني قبيلته أن حدثت ثورة هوجاء عمت معظم أنحاء الأندلس وقد كان من أثر هذه الثورة أن قتل عبد الملك الفهري وذلك سبب النزاع بين العصبيات العربية .

اسباب ضعف المسلمين في فرنسا :

كانت قيادة القوات الإسلامية في أرض فرنسا قد صارت بعد هرثمة إلى عبد الرحمن بن علقمة الاخمي وكان هذا يميناً متعصباً فلما سمع بمقتل عبد الملك بن هاشم وهو من بني جلدته ، قرر حشد كل قوات فرنسا شمال جبال البرانس والتي تقدرها المصادر النصرانية بمائة ألف رجل ، وسار بها لمساعدة أبناء عبد الملك في الاستيلاء على السلاطة وحكم الأندلس ، وبذلك ضعف شأن المسلمين في فرنسا ، وكان هذا التحرك العسكري بقوات المسلمين إلى الأندلس من أقوى الاسباب التي أدت إلى زوال سلطان المسلمين في تلك البقاع ، فأما وقد انصرف إلى الأندلس وألقى بنفسه في الصراع الدائر على أرض الأندلس بين الفئات المتحاربة فيما بينها ، فقد أفقده هذا خيرة جنده في هذا الصراع وكانت هذه الصراعات من الاسباب القوية التي أضاعت أمل المسلمين في الثبات فيما وراء البرانس ، وكان من جراء هذه الصراعات والتحركات العسكرية الإسلامية من فرنسا أن تخلص سكان مدن سبتمانية مثل بزيه ونيمه ومجلونه من الحكم الإسلامي وقامت بها حكومات محلية من أهلها وكذلك حدثت بالفسجة لإمارات البرانس مثل كينزيه ونبرة أن خلصت طاعة المسلمين وصار أمر أهلها بأنفسهم .

ولكن عندما استقر الأمر بالأندلس ليوسف الفهري فإنه أرسل ابنه

عبد الرحمن إلى النواحي الشمالية من البرانس لإقرار أمر الاسلام بها ولكنه لقي مقاومة عنيفة وكانت المواصلات قد قطعت بين جنود المسلمين في أربونة وبين المسلمين في شمال الأندلس فاطمع فيهم فافر بن أودو دوق اكونتاتيه وكان عبد الرحمن اللخمى قد عاد إلى أربونة بعد هزيمته في الأندلس ولكن أمره كان قد ضعف بسبب ما فقدته من جنود في حرب العصابات العربية في الأندلس .

(أنظر إبراهيم طرخان ، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ص ١٥٨ إلى ص ١٦٨) .

ابن شارل مارتل وإنكسار المد الاسلامى :

كانت الأمور قد استقرت في شمال فرنسا ليبينين بين شارل مارتل بعد أن استطاع أن يقضى على كل المنازعات ويوطد دعائم ملكه في الشمال ومن ثم فإنه عمل كل جهده على لإنهاء الوجود الاسلامى في جنوب فرنسا وخاصة في أربونة فتقدم بقواته لحصارها ، وحاصرها فترة طويلة من الزمن ولكنه لم يلبث أن استبان مناعتها وقوة إيمان رجالها وعزيمتهم في الدفاع عن عقيدتهم وصعوبة الاستيلاء عليها ، وكيف وقد فشل والده شارل مارتل الذى مجده الاساطير النصرانية ، باعتبارها صاحب انتصار في معركة بلاط الشهداء ، ففرها وعاد إلى الشمال ولكنه ترك أحد قواده ليمضى في الحصار ودارت الحرب بين المسلمين وهذا القائد ولكنه لم يلبث أن قتل وفر باقى جنوده بعد أن شهدوا مقتل قائدهم وتركوا من ورائهم معداتهم وأمتعتهم وكانت هذه غنيمة سهلة بين أيدي المسلمين ، ونجا المسلمون ومدينتهم بعد أن أمدهم الله بعونه وقويت بهذا الانتصار شوكة الاسلام شمال جبال البرانس ورجع الفرنجة عن أربونة ولم يتقدم إليها جندى فرنجى طوال سبع سنوات وكان بمقدور المسلمين أن يفتزوا هذه الفرصة ويدعموا وضمهم ويستفيدوا من هذا الزمن في الانصال بإخوانهم سكان الأندلس ليدوم بالرجال والعتاد ولكن شيئا من

هذا لم يحدث، ولكن في تلك الفترة، تغيرت الظروف السياسية في المشرق العربي وقامت الدولة العباسية ورحل عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وتولى أمورها وظلت حامية أربونه تقوم بالدفاع عن نفسها معتمدة على الله وعلى مالهيا من جند قليل وعتاد دون أدنى أمل في وصول نجدة من مسلمي الأندلس إليها، وانشغل ابن شلمان بالثورات القائمة في بلاده وفي محاولة إخضاع بعض دول الشمال الأوربي، وظلت أربونه وماحولها من مدن سبتمانية ثغراً إسلامياً يقوم للأندلس الإسلامي كالدرع الحصين الذي يرد كيد الأعداء، دون أن يفتن أهل الأندلس إلى هذا الدور الخطير الذي يلعبه هؤلاء المسلمون المنزلون في هذه البقعة من أرض فرنسا والذين يحيط بهم الأعداء من كل جانب ويتربصون الفرصة المواتية للانقضاض عليهم بعد أن تأكدوا من عزلتهم عن إخوانهم المسلمين في الأندلس وكان بعض أهالي مضايق جبال البرانس قد بسطوا نفوذهم على هذه المضايق وبذلك تم انقطاع الصلة معهم ومع الأندلس.

ولكن عبد الرحمن الداخل، وبعد أن استتب له الأمور بالأندلس بادر بالإسراع بإرسال قوات إلى هذه النواحي التي كانت معزولة عن المسلمين بالأندلس، ولكن رجال العصابات النصرانية في ممرات البرانس، حالت دون وصول المدد الإسلامي المرسل من الأندلس إلى جنود أربونه وماحولها في جنوب فرنسا وعادت الحملة الإسلامية أدراجها إلى الأندلس بعد أن فشلت في الانصال بالمسلمين في الشمال، وهكذا تركت أربونه وشأنها ولم يفكر أحد في نجدة أهلها واستغلال موقعها في توسيع رقعة الأراضي المحيطة بها والتي بذل المسلمون تضحيات كبرى للتمكن من تلك الأنحاء ودافعت حامية أربونه عن وجودها دفاعاً قوياً دام قرابة الثلاثين عام وكان من الطبيعي أن تضعف حاميتها إلى حد لا تستطيع معه الثبات أمام هجمات الفرنجة المتوقعة، والواقع أن حيلولة عصابات البرانس دون وصول المدد الإسلامي الذي أرسله عبد الرحمن الداخل عام ١٤٠ هـ إلى تلك الأنحاء جعلت نصارى جنوب فرنسا يتأكدون أن حامييه أربونه وغيرها من الحاميات الصغيرة في المعاقل الإسلامية في سبتمانية قد باتت وحيدة ومنعزلة وأنه بمرور الزمن فإن أمرها يزداد ضعفاً.

ولم يأت عام ١٤١ هـ / ٧٥٩ م حتى شعر أهالي هذه البلاد من النصراني أنه باستطاعتهم إخراج المسلمين عن تلك الإقصاع فأرسل الفرنجة قوات كبيرة قاموا بمساعدتها بالإنقلاط والتمرد على الحاميات الإسلامية على حين غرة وفتحوا أبواب المدينة للقوات الفرنجية القادمة من الشمال وعمل بنين بن شارل مارتل على إرسال عدد آخر إلى أربونه لأنه رأى أن الفرصة قد حانت للقضاء على المعادل الإسلامية وبذلك فإنه استطاع أن يقضى على ما بقى من أمل لدى المسلمين في البقاء في أربونه وهكذا ضاع هذا المعقل الإسلامي القوى الحصين بعد أن ظل في أيدي المسلمين فترة طويلة من الزمن يؤيد سلطاتهم ويؤكد قوتهم على جنوب فرنسا ومعظم نواحي غالة .

ولسكن بقيت بعد ذلك جماعات صغيرة من المسلمين تسيطر على بعض نواحي دوقيه ودوفتية وكونستيه وفيسي ، واعتصمت منهم جماعات في شعاب جبال الالب الغربية وظلت هذه الجماعات تقيم في تلك الأرجاء فترة طويلة من الزمن ، بل إن المصادر الأجنبية نفسها تذكر أن هؤلاء المسلمين قد استولوا بعد ذلك على مدينة « جرينوبل » وقد يكون ذلك كرد فعل على سقوط مدينة أربونه في أيدي الفرنجة فاستطاع المسلمون السيطرة على تلك المدينة ، وقد ظلت هذه الجماعات الإسلامية متحصنة في حصونها مدة لا تزيد عن مائة وثلاثين عاماً ، بعد سقوط أربونه المعقل الرئيسي والقوى في الشمال في أيدي الفرنجة وقد صلبها المدد والعون الإسلامي من جزيرة صقلية بعد أن سيطر المسلمون عليها وفتحها حكام بني الأغلب في تونس .

وقد كان لسقوط أربونه أثر كبير في ضعف شوكة الإسلام والمسلمين في جنوب فرنسا ، إذ بسقوطها رفعت الولايات النصرانية في جبال البرانس رأسها وقوى أمرها واستمدت العون من فرنسا وكانت هذه هي البداية بداية الانهيار الإسلامي في الأندلس ، إذ بدأت حركة المد النصراني في شمال الأندلس تتسع وتقوى بمساعدة دول الشمال الأوربي .

ولم تكن هذه المعارك التي دارت رحاها في سهول فرنسا ولا سقوط الحصون

الإسلامية في جنوبها هي التي منعت المسلمين من العودة إلى هذه الأنحاء والإصرار على الفتح ونشر العقيدة الإسلامية في ربوعها وإنما الذي أوقف المد الإسلامي في فرنسا وباقي الدول الأوروبية في ذلك الوقت هم المسلمون أنفسهم بما نشب بينهم من فتن عصبية بين العرب أنفسهم من يمنية وقيسية وبين العرب والبربر من ناحية أخرى ، وما صرفهم عن مواصلة الفتوح الإسلامية في أوروبا غير أحقاد النفوذ والسلطة والرغبة في تولي عصبة دون عصبة لا قوة الفرنجة ، كما حاولت أن توصي بذلك المصادر النصرانية .

وبذلك طويت صفحة من صفحات النضال الإسلامي في أرض فرنسا من أجل نشر العقيدة الإسلامية السمحة في أرض القارة الأوروبية بعد أن كافح الأسلاف كفاحاً طويلاً من أجل نشر هذه العقيدة .

الإسلام والمسلمون في فرنسا اليوم

نشرت جريدة أخبار العالم الاسلام إلى تصدرها رابطة العالم الاسلامي بمكة بتاريخ ٢٧ ربيع أول ١٣٩٨ ٦٥ مارس ١٩٧٨ م إن إحدى المجلات الفرنسية قد نشرت دراسة عن المسلمين في فرنسا يؤخذ منها أن الاسلام هو الآن ثاني ديانة في فرنسا بعد المنهج المسيحي الكاثوليكي .

فيمكن لا بد في إلقاء الضوء على الاسلام والمسلمين في فرنسا في هذه الأيام التي تبشر كان المد الاسلامي قد بدأ يعيد تاريخه في هذه الأرض التي كانت أرضاً إسلامية .

ولقد كان من أثر السيطرة الاستعمارية التي قامت بها فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر على أراضي الجزائر وباقي بلاد المغرب العربي (المغرب وتونس) وكذلك على بلاد غرب أفريقيا ووسطها إن أدى ذلك إلى حدوث هجرة إسلامية على نطاق واسع قام بها أبناء هذه الأقاليم للاستقرار في فرنسا من أجل العمل والكسب أو السعي في طلب العلم والدراسة وقد أدى ذلك إلى ظهور جماليات إسلامية كبيرة في فرنسا على الرغم من أن الهجرة الإسلامية الجماعية الواسعة لم تبدأ إلا في أوائل

القرن العشرين وبعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ١٩١٩ إذ تضاعفت أعداد المسلمين القادمين من شمال إفريقيا وبلاد غرب القارة وذلك لحاجة فرنسا إلى هذه الأيدي العاملة الرخيصة وذلك بعد أن خسرت فرنسا أعداد كبيرة من أبنائها في هذه الحرب ، حتى أنه يذكر أن عدد السكان المسلمين المقيمين في فرنسا عام ١٩٢٠ يقدر لأول مرة في تاريخ فرنسا الحديث بحوالى ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف مسلم ، وقد تزايد أيضاً عدد المسلمين المهاجرين والمستقرين في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية سبب تناقص الفرنسيين نتيجة للخسارة الهائلة في أبناء فرنسا من أثر هذه الحرب ، ثم تابعت الزيادة في الخمسينات وزادت الهجرة الإسلامية بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٣ ونزح كثيراً من أبناء الجزائر وغيرها من الدول الإسلامية جميعها خاصة بعد تقدم فرنسا الاقتصادية وانتعاش الاقتصاد الفرنسى حتى لقد أصبح المسلمون اليوم يشكلون حوالى ٦٪ من مجموع السكان السكلى وهم ثنائى أكبر جالية إسلامية فى أوربا كلها بعد المسلمين فى يوغسلافيا من حيث العدد الاجمالى للمسلمين من أكثر من مليونين شخص مسلم وتزايد بينهم نسبة الوليد ويوجد من بينهم ١,٢٠٠ مليون ومائتين ألف جزائرى ومغربى وتونسى كذلك يوجد حوالى ٥٠٠ ألف فرنسى من أصل جزائرى كذلك كثر من أبناء البلاد الإسلامية الشرقية ومعظم المسلمين فى فرنسا سفيون على المذهب المالكي .

وأكثر هؤلاء المسلمين من الطبقة العاملة وكثيراً منهم يعملون فى أعمال حرفية ، ويوجد فى فرنسا أكثر من عشرة آلاف طالب مسلم وكثيراً من المهندسين والأطباء والفنيين أنى معظمهم من البلاد الإسلامية ، بالإضافة إلى اعتناق عدد كبير من الفرنسيين أنفسهم الدين الإسلامى ويبلغ عدد الفرنسيين الذين يدخلون الإسلام بحوالى ألف شخص سنوياً وإن كان قد يبلغ عدد الفرنسيين الذين دخلوا الإسلام حوالى نصف مليون مواطن .

ويلاحظ أن تقارب فرنسا فى الآونة الأخيرة مع البلاد العربية والإسلامية قد خلق متنفساً للمسلمين لى يستطيعوا أن يظهروا قوتهم الدينية فى فرنسا ومحاولة وجود جمعيات إسلامية تستند إلى سند قانونى فرنسى وهى جمعيات معترف بها من قبل الحكومة الفرنسية .

وسوف نحاول هنا أن نلقى الضوء على بعض الجمعيات الإسلامية التي لها نشاط بارز وواضح بين صفوف المسلمين الذين يقدر عددهم بأكثر من ٢ مليون مسلم والجمعيات الإسلامية

١ - اتحاد الطلبة المسلمين :

وهو يأخذ من اسمه انه اتحاد يضم الطلاب المسلمين الذين يدرسون في فرنسا وقد ظهر هذا الاتحاد في المجال الفرنسي منذ أوائل الستينات ١٩٦٠م وكان مركزه مسجد باريس وهو فرع من الاتحاد الأوروبي للجمعيات الطلابية الإسلامية الذي مركزه أخن في شمال ألمانيا . وقد انتقل هذا الاتحاد من مقره بالمسجد إلى المركز الإسلامي الذي قامت حكومة أبو ظبي بالمساعدة في شراء هذا المركز ولهذا المركز نشاط طلابي يشمل ١٥ مدينة فرنسية وهذا الاتحاد له نشاط إسلامي ملحوظ بين الأوساط الفرنسية وخاصة بين الشباب الفرنسي وله مجلة اسمها مجلة المسلم وهي تصدر باللغة الفرنسية كل ثلاثة شهور وهذا الاتحاد له تأثير قوى في تعميق المفاهيم الإسلامية في نفوس الشباب الفرنسي الداخل في دين الإسلام .

٢ - جمعية المسلمين الدولية :

وقد كانت هذه الجمعية ضمن اتحاد الطلبة المسلمين ولكن انفصلت عنها وأخذت تمارس نشاطها الإسلامي بمفردها بعد أن كانت تتخذ مسجد باريس مقراً لها ولكنها اضطرت في نهاية الأمر إلى الحصول لها على مقر مستقل وهي تضم فئة قليلة بالملاحظة إلى الاتحاد الأول وإن كان لها نشاط إسلامي بين المسلمين وتقوم بإصدار مجلة إسلامية شهرية تصدر باللغة الفرنسية أوائل كل شهر وتسمى مجلة العالم الإسلامي . وهذه المجلة تشتري خارج فرنسا أيضاً وتقوم بتوزيع حوالي ٢٠ ألف نسخة شهرياً في البلدان الناطقة باللغة الفرنسية ونشاط هذه الجمعية تحت إشراف بعض الإيرانيين وربما تكون مدعومة من قبل الحكومة الإيرانية ، إلا أنها ذو أثر فعال في مجال الحركة الإسلامية في فرنسا وباحبذا لو انضمت إلى إسلامي الذي كانت هي جزء منه لكي تتوحد الأهداف والجهود من أجل عمل الاتحاد واحد .

وبالإضافة إلى ذلك توجد عدة جمعيات ومؤسسات إسلامية تقوم بالدعوة الإسلامية بين صفوف الشعب الفرنسى وإن كان الأمر للقائمين بها من غير أبناء فرنسا هي :

٣ - جمعية مسلمى باريس :

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٦٣ وكانت قد ظهرت كفكرة منذ عام ١٩٥٦ م. وتهدف هذه الجمعية إلى الدعوة للإسلام بين صفوف المسلمين وغير المسلمين وتقوم بالتركيز على تربية الأطفال المسلمين تربية إسلامية والعمل على التوسع في إنشاء العديد من المدارس الإسلامية لنشر التعاليم الإسلامية بين صفوف الصغار سواء من المسلمين وغير المسلمين لكي يشبوا على التعاليم الإسلامية السمحة ولها نشاط إعلامى ملحوظ وهي تقوم بإصدار مجلة شهرية تصدر باللغة الفرنسية اسمها فرنسا الإسلام وقد بدأت أول إصدار لها عام ١٩٦٧ م وتقوم بإصدار ٢٥ ألف نسخة ولهذا الجمعية اتصال بالجالليات الإسلامية في المناطق التي كانت تخضع للنفوذ الفرنسى قبل الحصول على استقلالها وكذلك لها نشاط في ترجمة الكتب الإسلامية إلى لغات مختلفة للشعوب الإسلامية التي تعيش في تلك المناطق كاللغة الفولانية والكمبودية وغيرها من اللغات المختلفة ولقد عملت الجمعية على شراء كنيسة وتحويلها إلى مسجد لكي يقوم المسلمون بتأدية شعائهم الدينية في ذلك المسجد وكل هذا النشاط الإسلامى الملحوظ يثمر بازدياد المد الإسلامى وانتشاره بين جميع أفراد الشعب الفرنسى والذي بدأ هذه الأيام يدخل في دين الله ويقدر أكثر من ألف فرنسى سنوياً فإن هذا العدد سوف يزداد سنوياً .

٤ - جمعية المسلمين الفرنسيين :

هذه الجمعية عباره عن جماعة من المسلمين نظموا أنفسهم على أسس الطرق الصوفية ويمكن أن يطلق عليها الجماعة الصوفية وهي أقدم جماعة إسلامية وجدت في الأراضى الفرنسية إذ مر على تكوينها أكثر من نصف قرن من الزمان ورئيس هذه الجمعية فرنسى الأصل وهو رجل مثقف ومعلم متمسك بالتعاليم

الإسلامية وهذه الجماعة تركز على تعليم أبنائهم وهم صغار اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتنشأتهم النشأة الإسلامية وتصدر مجلة ذات مستوى رفيع اسمها الدراسات التقليدية وتصدر شهرياً بالإضافة إلى هذه الجمعيات السالفة الذكر توجد عدة جمعيات أخرى منتشرة في أنحاء كثيرة من فرنسا وخاصة في الأجزاء الجنوبية في فرنسا وهي الأجزاء المطلة على البحر المتوسط حيث يوجد أكبر تجمع إسلامي في هذه المدن وهذه الجمعيات منها جمعية تطلق على نفسها أخوة المسلمين في أوروبا وكذلك حركة الإعانة والدفاع عن المهاجرين المسلمين ولكن ليت هذه الجمعيات السالفة الذكر يجمعها تنظيم إسلامي واحد في مركز إسلامي كبير والجهود التي يبذلها مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس لأجل توحيد هذه الجمعيات والدعوة للإسلام وتنشيط حركة الامتداد بين صفوف المسلمين الفرنسيين يجد تجاوباً كبيراً بين صفوف هذا الشعب - ولكن يمكن القول بأنه حتى الآن لا توجد مدارس إسلامية بالمعنى المفهوم اللهم إلا بعض الكتائب الشعبية لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية كذلك يوجد عجز كبير في عدد المساجد ولا يوجد إلا مسجد كبير في العاصمة باريس بنى عام ١٩٣٠م والمسلمين نشاط إسلامي ملحوظ إذ يقومون هذه الأيام بحركة إسلامية واسعة بشأن شراء الكنائس وتحويلها إلى مساجد وقد تم شراء كنيسة في مدينة مرسيليا وحولوها إلى مسجد وإن كان يوجد في باريس وحدها وضواحيها ما لا يقل عن ١٩ مسجد وقد تبرع أحد المسلمين بفندق ضخم وحولوه إلى مسجد ومركز إسلامي .

أن الدين الإسلامي دين الله الخالد قد بدأ يعود إلى فرنسا مرة أخرى كما كان فيها منذ مئات السنين ، أن الأراضي الفرنسية في جنوب البلاد والتي شهدت استقرارها وفتوحهم لها لتشهد اليوم حركة إسلامية تتسع وتزداد كل يوم .

أن الدول العربية والإسلامية وكل الهيئات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية مطالبة اليوم بأن تكشف الجهود وتدعمها وأن تبذل كل ما في وسعها لكي تمد يد العون والمساعدة لإخوانهم المسلمين في فرنسا عن طريق إرسال الوعاظ والأئمة ورجال الدعوة ونشر الكتب الإسلامية وكذلك إنشاء المراكز

الاسلامية في كل أنحاء القارة الأوروبية أن عدد المسلمين في فرنسا يتزايد كل يوم وهذا يستدعي مضاعفة الجهود وحشد كل القوى الاسلامية لاجل المحافظة على عقيدة هؤلاء القوم وترسيخ مفاهيم الاسلام بين أطفالهم وهم صغار قبل أن تؤثر فيهم الحركات المعادية للاسلام .

الاسلام والمسلمون في جزيرة كورسيكا

لقد كان لاتساع المد الاسلامي في موجة الزحف الجارف وتحطيم كل أوثان الجاهلية ووصول الراية الاسلامية إلى أقصى المحيط الأطلسي وعمورها مضيق جبل طارق لسكي تبسط أوليتها على شبه جزيرة « إيبيريا » في الطرف الجنوبي الغربي للقارة الأوروبية وسيطرة المسلمين على تلك الاقصاع البرية الواسعة وظهور خطر الاسطول البحري البيزنطي في مياه البحر الابيض المتوسط ومهاجمته لسواحل الاندلس وساحل الشمال الأفريقي والتجاء المسلمين لبناء مدنها في الداخل بعيداً عن الساحل خوفاً من مهاجمة الاساطيل البيزنطية التي كانت وما زالت في القرن الأول الهجري تملك زمام البحر المتوسط وتسيطر على جزره .

ولكن ما إن تم توطيد الوضع الداخلي وتسير أمور البلاد الداخلية حتى بدأ الاهتمام ببناء الاسطول الإسلامي في غرب البحر المتوسط لاسيما وإن القوة الاسلامية بدأت تظهر في شرق البحر المتوسط ، بعد أن خاضعت معركة ذات الصواري وانتصار الاسطول الإسلامي البيزنطي فكانت فكرة السيطرة على الجزر المواجهة للشاطئ الشرقي للاندلس واستطاع المسلمون السيطرة على جزر البليار وجزيرة سردينيا وكورسيكا .

وجزيرة كورسيكا التي هي محور الدراسة الآن يطلق عليها ذلك الاسم أوقورسقة وهي بالفرنسية كورس وهي جزيرة صغيرة تبلغ مساحتها ٨٧٥ كيلو متر مربع عدد سكانها الآن ٦٧,٨٧٣ نسمة وهي الآن جزء من الدولة الفرنسية في البحر المتوسط وتقع إلى الجنوب الشرقي من فرنسا وإلى الشمال من

سردنية ، وعاصمتها وأهم موانئها جاكسبور ، وكذلك موانئها الأخرى . بأسينا ، ومعظم الجزيرة جبلي وأهم صادراتها زيت الزيتون والتين والتين والاختساب ، ومواصلاتها رديئة ولا تزال كثيراً من أراضيها على حالتها الطبيعية مما يتيح الفرصة للمصائب التي ما زالت تقلق الجزيرة حتى أوائل القرن ٢٠ م ويتكلم سكانها اللغة الفرنسية في المدن الكبرى أما خارج المدن الكبرى فيتحدث الناس اللغة الإيطالية .

الجزيرة قبل الغزو الاسلامي :

لقد تعرضت الجزيرة للغزو منذ العصور القديمة ولقد تعاقب على السيطرة عليها الرومان في القرن الخامس الميلادي وجاء بعدهم الوندال وكان جزيريك الوندالي قد كون إمبراطورية بحرية تكونت من شمال أفريقيا وسردنية وجزر البليار وكورسيكا وذلك لأن الأسطول الوندالي القوي في أواخر القرن الخامس الميلادي لم يجد أي قوة بحرية تقف في طريقه في البحر المتوسط وهذا يفسر سر إسراع أساطيلهم من مراكزها في شمال إفريقيا ومنطقة غرب البحر المتوسط بالقيام بأعمال القرصنة واستطاع الوندال تخريب روما عام ٤٥٠ م ولم يستطع الرومان أن يواجهوهم ثم انتقل حكم الجزيرة بعد ذلك إلى حكم القوط وتشجع القوط الشرقيين وتحولوا من الدفاع إلى الهجوم وشنوا حرباً بحرية بسفن صغيرة ضد الوندال وكانوا قد بنوها في شمال إيطاليا وفي عام ٥٥١ م استطاع الأسطول الاسقيلاء على كورسيكا وسردنية وتعرضت مواصلات الحملة البيزنطية مع الشرق للخطر ولسكن في نفس العام فإن الإمبراطور الروماني جوستنيان استطاع أن يستعيد كورسيكا وسردنية واختفى أسطول القوط الشرقيين كما اختفى من قبل أسطول الوندال .

الغزو الاسلامي :

أما إن انتهى القرن الأول الهجري حتى ظهرت إلى الوجود قوة إسلامية عزيمتها الإيمان وبأس رجالها الجهاد في سبيل الله واستطاعت تلك القوة أن تبسط لواء الإسلام على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط بعد أن

بنيته على الساحل الشرقى ، ثم بعده إلى الساحل الغربى للأندلس ، ولكن الساحل الشمالى وجزر البحر كانت ما تزال فى أيدى أعداء الإسلام ومن ثم ظهرت فكرة غزو الجزر هذه والسيطرة على الساحل الشمالى للبحر المتوسط وكان نصيب غرب البحر المتوسط للأسطول الأندلسى والإفريقى ، ومن ثم ظهرت فكرة ضرورة الاستيلاء على جزر الغرب ، وهى جزر البليار وسردنية وكورسيكا وعلى هذا فإنه يمكن القول أن الغزوات التى شنها المسلمون على جزر غرب البحر المتوسط قد افترت بغزو جزيرة كورسيكا ، ومن المرجح أن تكون هذه الجزيرة قد أنطوت تحت راية التوحيد قبل عام ٩١٥ هـ - ٨١٦ م وإن كانت المصادر الأوربية تذكر أن المسلمين وأساطيلهم البحرية لم تصل إلى كورسيكا قبل هذا التاريخ إذ ثبت أنه فى الفترة من ٨٠٦ - ٨١٥ م قام الأسطول الإسلامى بهجمات بحرية منظمة ومركزة على جزر البليار وكورسيكا والشواطىء السكارو لينجية واستطاع المسلمون بسيطرتهن على كورسيكا أن تكون من وسردانية قاعدة للعمليات البحرية لغزو شواطىء إيطاليا الغربية وكذلك غزو مرسيليا وجنوب فرنسا وكان المسلمون يأملون أن تظل كورسيكا قاعدة لهم بصفة دائمة لى يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم فى غزو باقى أجزاء أوربا بعد أن بسطوا لوائهم على الأندلس وجنوب فرنسا وسويسرا وأجزاء من إيطاليا .

وتذكر المصادر أن كورسيكا وسردنية كانتا قاعدتين للأسطول الإسلامى فى غزواته للبلاد الأوربية والدليل على ذلك تلك الغزوة الإسلامية الثانية لمدينة روما التى قام بها أسطول كريت والأندلس وأفريقيا لمركز البابوية ، ذلك أن الوحدات الإسلامية كانت قد اتفقت فيما بينها على أن يتجمع الأسطول الإسلامى فى شمال سردينية وجنوب كورسيكا وذلك لتوحيد القيادة وتنفيذ خطة الهجوم الإسلامية المتفق عليها لغزو مدينة روما وكذلك فإن ذلك اللقاء يؤكد سيطرة المسلمين سيطرة تامة على هذه الجزر وإلا فكيف يتجمع الأسطول الإسلامى وهذه الجزر تخضع لقيادة غير إسلامية .

الصراع من اجل الجزيرة :

لقد أخافت القوة الإسلامية التي ظهرت في غرب البحر المتوسط وأصبحت خطراً يهدد الوجود الأوربي في تلك الشواطئ الشمالية للقارة الأوربية والتي يسعى المسلمون لمداومتهم الإسلامية وترسيخها في تلك الأرجاء ، وكان شارلمان ، إمبراطور الإمبراطورية الغربية وملك الفرنجة قد اهتز من تلك الانتصارات التي أحرزها الأسطول الإسلامي وتوطيد دعائمه في كورسيكا ، فجمع أسطولاً أوربياً ضخماً ساعدت فيه كل الإمارات الإيطالية (البندقية ، جنوة ، بيزا) وفي عام ٨٠٦ م وقع صدام بحري عنيف بين الأساطيل الإسلامية الأندلسية وبين أسطول الفرنجة غرب جزيرة كورسيكا وكان المسلمون قد اتخذوا من الجزيرة قاعدة لهم ولأسطولهم لمهاجمة جنوب فرنسا وسواحل إيطاليا الغربية ، وكان شارلمان قد أرسل أسطوله البحري بقيادة كونت جنوه ، ليكون قائداً للأسطول الأوربي المهاجم وكان هذا القائد الجنوي يدعى مادومار ، لمطاردة الأساطيل الإسلامية ومهاجمتها ، ولكن المسلمون انتصروا عليه إنتصاراً كبيراً وقتل قائد الأسطول الفرنجي وأسر المسلمون عدداً كبيراً من جنود الفرنجة واضطر شارلمان إلى إقتنائهم بالأموال الكثيرة لوجود بعض أقاربه بين هؤلاء الأسرى ، وبعد ذلك ظل الأسطول الإسلامي يتابع غاراته على كورسيكا وحالفه النصر بسبب العون البحري الذي تلقاه من دولة الأغالبة التي قامت إذ ذاك في تونس واستطاع المسلمون بفضل هذا التعاون في غرب البحر المتوسط السيطرة على كورسيكا ومهاجمة شواطئ جنوب فرنسا وساحل إيطاليا الغربي ولكن في عام ٨٠٨ م — ١٩٢ هـ تدخل بابا روما البابا ليو الثالث لدى ابن شارلمان بنين وحكام الولايات الإيطالية وحكم دول غرب أوربا طالباً منهم عدم الغفلة عن مهاجمة كورسيكا لأن المسلمين بها لا يكفون عن غزو الشواطئ الإيطالية وهذا خير دليل على توطيد النفوذ الإسلامي واستقرار المسلمين بها .

ولكن هناك بعض المصادر تذكر أن السيادة الإسلامية على جزيرة كورسيكا لم تكن سيادة ثابتة ودائمة ومستقرة بدليل كثرة الغزوها من الجانب الإسلامي

والمسيحي الأوربي واسكن هذه الأقوال لا تنفى سيطرة المسلمين عليها وامتلاكها وصبغها بالصيغة الإسلامية وظهور وضع إسلامي بها ، ذلك لأنه بتلك السيطرة الإسلامية عليها وكذلك السيطرة الإسلامية على جزر البحر المتوسط الغربي كونت جزر البليار وسردنية وكورسيكا سلسلة من الحواجز تجاه شواطئ الأندلس وشمال أفريقيا ولم يعد هناك بالمعنى المفهوم والواضح أى أسطول فى غرب البحر ينافس الأسطول الإسلامى أو يقف أمامه فى أية معركة بحرية ، ذلك لأن هذا الأسطول استطاع أن يتحكم فى المضائق البحرية ذات القيمة الاستراتيجية الهامة والواقعة على طريق التجارة من الشرق والغرب وصار أشرف المسلمين على هذه الجزر والمضائق يخضع لنظام دقيق .

وتقول مصادر النصارى التاريخية ، لويس أرسبيليد فى كتابه القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط ان المسلمون كانوا يقصدون من هذه الغارة على الشواطئ الأوربية والجنوبية والجزر الواقعة بالقرب من هذه الشواطئ (يقصد كورسيكا وصقلية وكريت ورودس) الحصول على الغنائم ويذكرون أنه فى عام ٨١٣ م قامت حملة بحرية من موانئ الأندلس فأغارت على كورسيكا ونيس ومدينة سافينا نكيا واستطاعت أن تغنم مغنم كثيرة واسكن فى طريق العودة اعترضها أسطول الفرنجة عند جزيرة « ميورقة » بقيادة كونت أسبورياس واستطاع أن يجعل المسامين يتخلون عن هذه المغنم فلم يكن من الأسطول الإسلامى إلا أن قام بغزو الساحل الايطالى ردأ على هذا الاعتراض وإظهاراً لقوة الأسطول الإسلامى .

كذلك نلاحظ هنا أن المصادر الغربية كانت دائماً تصور الجهاد الإسلامى من أجل نشر عقيدة الاسلام الحق والخالدة على أنه عمل من أعمال القرصنة يقوم بها قراصنة البحر من أجل السلب والنهب وجلب الغنائم وهذا هو عين الحقد للإسلام .

الفاطميون وحكم الجزيرة :

لقد انتقلت السيادة الاسلامية على كورسيكا وسردنية للخلافة الفاطمية القائمة في مدينة المهديّة بشمال أفريقيا عام ١٠٠٢ م ولكن بعض المصادر تذكر أن السيادة الفاطمية على كورسيكا كانت قبل ذلك التاريخ وفي ذلك يقول أرشيبالد أن نفوذ الفاطميين البحري قد ظهر بصورة واضحة في غرب البحر المتوسط وذلك لأنهم قاموا في عام ٩٣٥ م بإرسال أسطول كامل الاستعداد لتثبيت دعائم سلطاتهم على مياه البحر التيراني ، وأغار هذا الأسطول الفاطمي على سردينية وربما جنوه وإستطاع أن يحرق ويدمر الكثير من سفن البيزنطيين التي كانت موجودة في ميناء جنوة ، وهذا يدل على استعادة الأسطول الاسلامي لمركزه في غرب البحر المتوسط .

ونظرا لتفوق الأسطول الاسلامي فان بلاد الساحل المسيحي من برشلونه حتى نهر التينز (شمال روما) كانت مناطق ميتة واختفى منها ما سبق أن وجد من تجار وقوة بحرية زمن شارلمان ولويس ، وبقيت برشلونه وناريون ومرسيليا وجنوه بل نبرة ذاتها مدنا قليلة السكان وغير قادرة على حماية نفسها من غارات المسلمين المتوالية والموجهة إليهما من الأندلس ذاتها ومن قاعدتها الاسلامية الامامية في فراكنست في سويسرا وضاعت أهمية جزيرتي سردينية وكورسيكا بسبب السيطرة الاسلامية عليهما وانتفاع المسلمين بموقعها الاستراتيجي ، وكذلك من الناحية التجارية والزراعية بالنسبة للدول الأوروبية حيث تم للمسلمين السيطرة عليها وإن شاركنا في قليل من الرخاء الذي فاض حولها على جزيرة صقلية وجزر البليار والأندلس .

وعندما قام مجاهد العامري بغزو جزيرة سردينية واستطاع أن يسيطر عليها توجه إلى مدينة لوني الايطالية واستطاع أن يبسط لواء الاسلام عليها فإنه قدم على جزيرة كورسيكا للتزود بالامدادات والتأمين للقوات الموجهة لتلك الجزيرة وهذا دليل آخر على خضوعها لسيطرة الاسلامية .

وتذكر المصادر التاريخية أن المسلمين كما سيطروا على بوغاز « مسينا »

الفاصل بين جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا فإنهم استطاعوا أن يسيطروا على بوغاز « تيوفاثيو » وهو البوغاز الفاصل بين جزيرتي سردينية وكورسيكا وهذا يؤكد سيطرة المسلمين على جزيرة كورسيكا أو على الأقل على الأجزاء الجنوبية منها حتى أنهم استطاعوا تأمين المواصلات البحرية الإسلامية في هذا البوغاز .

انحسار المد الاسلامي :

لم يكديتهى القرن الحادى عشر الميلادى إلا وكان الأوربيون الفرنسيون قد بدوا يسيطرون على غرب البحر المتوسط وذلك بعد أن كان هذا الجزء من البحر المتوسط بل البحر الأبيض المتوسط بجميع جزره وموانيه بحيرة إسلامية طوال ثلاثة قرون (٩ - ١١ م) إذ أصبح الفرنجة سادة كورسيكا وسردينية وصقلية وجنوب إيطاليا وكل الأقاليم الساحلية الشمالية إلى جانب تحكمهم في طرف التجارة البحرية بين الشرق والغرب وإن كان المسلمون قد استطاعوا في عام ١٠٥٠ م تحت قيادة الأمير على بن مجاهد صاحب دانيه أن يعيدوا المجد الإسلامى إلى هذه الجزر واستطاع أن يمد النفوذ الإسلامى على جزيرة كورسيكا مرة أخرى ، وأنه بعد ذلك بخمسين عاما فقد المسلمون سيطرتهم على كورسيكا وزاد ضغط الأوربيين وأساطيلهم على جزر البليار من أجل انتزاعها من أيدي المسلمين ، بل إن سفنهم الحربية استغلت ضعف البحرية الإسلامية في وعدم قدرتها على الهجوم وأخذت تغير على الشواطىء الإسلامية الأندلس وشواطىء الشمال الأفريقى .

ولقد كان الأسطول الإسلامى في شرق البحر المتوسط وغربه في حالة الهجوم على الشواطىء الأوربية أو الاعداد لغزوة إسلامية كبرى فإن كل هذه الأساطيل (كريت وشمال أفريقيا - الأندلس - مصر - سوريا) تعمل تحت قيادة إسلامية واحدة ولقد شهدت كثيراً من الغزوات الإسلامية صوراً من صور هذا التعاون الإسلامى البحرى (غزو صقلية والأندلس وشمال أفريقيا والاستيلاء على سالونيك ، بعضن كريت وسوريا ومساعدة الأسطول المصرى للأسطول السكريقى) .

ولسكنه كان من أثر تغلب النور ماندين على صقلية ومالطة وجنوب إيطاليا
فان انفصل الأسطول الأندلسي الاسلامي عن أساطيل الدول الشرقية في مصر
والشرق الأدنى (سوريا - باقى بلاد الشام) .

وهكذا ضاعت جزيرة كورسيكا من أيدي المسلمين كما ضاعت غيرها من
الجزر الاسلامية الأخرى التى كانت ممتدة من قبرص شرقا إلى جزر البليار غرباً
ومن جزيرة مالطة جنوباً إلى جزيرة كورسيكا شمالاً ، وما ذلك إلا بسبب
ضعف البحرية الاسلامية وظهور الخلافات بين الحكام المسلمين وانعدام التعاون
والترابط بين الوحدات الاسلامية المختلفة ، بل على العكس من ذلك فإن الأمر
قد أدى بالضرورة إلى مهاجمة الأساطيل الاسلامية لبعضها البعض (أسطول
الأغالبة - كريت ، والأسطول الفاطمي ، الأندلسي) .

وتلك هى نظرة بسيطة ألقينا من خلالها الضوء على الاسلام والمسلمين خلال
ثلاثة قرون من الزمن سادت فيها البحرية الاسلامية ذلك البحر الأبيض المتوسط
بحيث صار بحراً إسلامياً خالصاً .

الإسلام والمسلمون فى سويسرا

تلك هى صفحات الجهاد الإسلامى فى قلب القارة الأوروبية وفوق جبال
الألب السويسرية نقدمها لأبناء العروبة والاسلام لكي يتعرفوا منها على جزء
من كفاح أسلافهم فى سبيل رفع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله على أرض القارة
الأوروبية ذلك لأن الجهاد الإسلامى فى أوروبا كان قد وطد العزم على الأخذ بهذه
الراية واختراقه القلب والوصول بتلك الراية إلى الشمال الأوروبى، ورفعها
خفاقة عالية على أديم القارة التى بسط المسلمون لواء الاسلام فوق طرفها
الجنوبى الغربى .

وسويسرا التى نعرض لتاريخ الاسلام والمسلمين بها تقع فى وسط أوروبا
وهى بلد لا ساحل لها اليوم على البحر أو المحيط ويحدها فى الوقت الحالى ألمانيا
من الشمال وإيطاليا من الجنوب والنمسا من الشرق وفرنسا من الغرب أما زمن

الفتح العربي لها فلم تكن حدودها السياسية واضحة المعالم لان القوميات في أوروبا في ذلك الوقت لم تكن قد ظهرت بعد ولأن الحدود السياسية بوضعها الحال لم يكن متعارف عليها ومن هنا فإن سويسرا الاسلامية كانت تتوسط أوروبا .

وعلى هذا فإنني سوف أحاول في تلك الدراسة إلقاء الضوء على النقاط الآتية :

- ١ — دخول الاسلام إلى سويسرا .
- ٢ — سيطرة المسلمون على قلب أوروبا .
- ٣ — إقامة الدولة العربية الاسلامية في سويسرا .
- ٤ — تحالف الأمم النصرانية ضد الدولة الاسلامية .
- ٥ — الآثار الاسلامية في سويسرا .

اولا : دخول الاسلام إلى سويسرا :

تقول المصادر التاريخية أنه في عام ٥٢٧٢ — ٨٨٨م جاء بعض العرب من سواحل الأندلس في مراكب صغيرة ، يحدوهم الأمل في النزول إلى الشاطئ الاوربي لكي يقيموا دولة إسلامية كبرى تتسع بها رقعة العالم الإسلامي ، وليجاهدوا الأمم النصرانية وتم لهم ما أرادوا ومكن الله لهم في الأرض فقد استطاعوا النزول إلى « بروفانس » والاستيلاء على بلدة « ترويز » وماسكوا هذه النواحي الواقعة شرق الأندلس في سرعة مذهلة ولم يجدوا أدنى مقاومة من الأهالي سكان تلك النواحي ومن ثم فقد اتخذوا لهم معقلا في جبل «موردس» وذلك لكي يأمنوا مهاجمة النصارى لهم ويكونوا في حماية من الأمم المجاورة وأطلق على هذا المكان «فراستيوم» ويحد هذا المكان البحر المتوسط من جهة والغابات المتشابكة من جهة أخرى ، وبذلك فإن الفوج الأول من المسلمين قد أقاموا قاعدتهم الأولى للانطلاق من أجل نشر الرسالة المائدة في هذا المكان المنيع ، وصارت لهم قاعدة ينطلقون منها ليتجولوا بالجهات المجاورة ، دون أدنى خوف من أية قوة نصرانية تستطيع الاعتماد عليهم واثقين بالله في نصرهم على أعدائهم وفي قدرتهم على رفع الراية الإسلامية كل يوم على أرض جديدة .

ولما رأوا أنهم في أمان واستطاعوا أن يوطدوا أقدامهم على الأرض السويسرية ، فإنهم أرسلوا رسولا منهم إلى الأندلس لكي يحض القوم على الجهاد في مكان جديد من أرض أوروبا . ولم يلبث الرسول أن عاد إلى الحصن الإسلامي ومعه عدد كبير من مجاهدي الأندلس ، الذين جاءوا لكي يلحقوا بإخوانهم الذين سبقوهم في الجهاد من أجل نصره دين الله الحنيف والحق ؛ ومن ثم فقد توالى النجيدات من الأندلس إلى هؤلاء العرب الفاتحين الذين بسطوا نفوذهم ورفعوا راية الإسلام على تلك الأرجاء وأصابوا فيها مغنم كثيرة ، ولقد بقيت هذه الإمارة الإسلامية التي أسسها المسلمون في قلب أوروبا لعدة سنين طويلة مركزاً لقوتهم السياسية ونفوذهم الديني وقوتهم العسكرية في هذا الجانب من القارة الأوروبية ، فمنها كانوا يبعثون بالسرايا ويرسلون المجاهدين إلى الشرق من جبال الألب البحرية ، ومن جراء قوتهم ونفوذهم وقوة إيمانهم وصلابة شكيמתهم وصبرهم على الشدائد صارت هذه الإمارة الإسلامية حديث الناس في ذلك الإقليم والأقاليم المجاورة ، بل وصارت للسليين غزواتهم البعيدة داخل سويسرا وصاروا يهاجمون المدن المحصنة والقلاع القوية التي يسكنها أشراف البلاد ونبلائها ، ويفرضون نفوذهم الإسلامي عليها وهذه الغزوات التي كانت تقوم بها الدولة الإسلامية السويسرية كما يظهر في روايات بعض مؤرخي العصر نفسه من النصارى لم تكن ذات مغزى سياسى كغيرها من الغارات النصرانية التي كانت تتم بين أمراء النصارى في أوروبا ، بل كان غرض الفاتحين للأراضي السويسرية هو توسيع رقعة العالم الإسلامي وإنشاء دولة إسلامية تتضافر مع غيرها من الدول الإسلامية من أجل نشر الرسالة الخالدة بين هؤلاء القوم ، ولم يكن غرض هؤلاء الفاتحين الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله إخضاع هذه المناطق لنفوذهم السياسى أو من أجل الغنائم بقدر ما كان نشر الدين الإسلامى بين تلك الشعوب التي لم تسمع من قبل عن دين الإسلام وسماحته ولا عن كتاب الله وشموله لكل شيء أو لم تتصل بالمسلمين من قريب أو بعيد أو أن تقام بينهم صلات يستطيعون من خلالها التعرف على الإسلام والمسلمين .

ثانيا : سيطرة المسلمين على قلب اوربا :

في عام ٩٢٩٠ هـ / ٩٠٦ م توغل المسلمون في يوجندا وشيملة ودخول مدينة نيزا وتوغلوا في جبل نيس وفتحوا بذلك الباب للسيطرة على كل سويسرا وبسطوا لواء الإسلام على وادي فالليه وصارت لهم وقائع مع أهالي تلك الانحاء وبسطوا نفوذهم على دير فاليرة الذي كان يقع أسفل الجبل والذي كان من أعظم الأديرة وأغناها في تلك المنطقة واكتسحوا كل شيء وحولوا الكنيسة التي في الدير إلى مسجد وأقاموا شعائرهم الدينية في الدير بعد أن تم تحويله إلى قلعة إسلامية واتخذوا منه مقراً لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة علومه المختلفة بجانب العلوم الإسلامية ويبدو أن غارات المسلمين قد توالى بسرعة متزايدة على ساحل أقليم بروفانس بالإضافة إلى قواعدهم شبه الدائمة في كامبرج وماجلون ، ولعلمهم استعانوا في السيطرة على هذه الأجزاء في وسط أوربا برجال مجاهدين من بلاد إسلامية أخرى غير مسلمي الأندلس ومن تلك القواعد الإسلامية المتقدمة في وسط أوربا شن المسلمون غارات برية على الداخل مثلما فعلوا فيما مضى عندما نزلوا سواحل إيطاليا الجنوبية وتعرض أقليم بروفانس وحوض الرون الأدنى لغاراتهم المستمرة طيلة أربعة وثمانين عاماً من الحكم الإسلامي في تلك البقاع ، بل أنهم انتشروا في جبال الألب وتحكموا في الممرات والمعاور الواقعة بين فرنسا وإيطاليا فيما بين مونت سني ، والبحر المتوسط وجعلوا المرور بالنسبة للنصارى عبر تلك الطرق والممرات التي تؤدي إلى وادي داليو ، عسيراً جداً إن لم يكن مستحيلاً واتسعت الدولة العربية الإسلامية السويسرية ، ولم يلبث هؤلاء المسلمون أن ألغوا السكنى في الجبال والغابات وتعدوا السير في الأدغال والأحراش واعتادوا التأقلم مع طبيعة المناطق الثلجية الباردة ، وبناء مساكنهم بما يتلائم مع تلك البيئة الجديدة .

مما ساعد على ازدياد قوتهم وبسط نفوذهم ، قيام النزاع بين أمراء الإقطاع المجاورين لهم في المقاطعات النصرانية الذين كانوا يطلبون من الدولة الإسلامية السويسرية المساعدة بإمدادهم بقوات إسلامية ضد بعضهم البعض ولم يكتفى

هؤلاء المسلمون سكان تلك الأقاليم بما بلغوه من قوة وحازوه من ثروة ، بل اعتبروا أنفسهم سادة هذه البلاد وأصحاب النفوذ المطلق فيها واستطاعوا أن يهددوا « تورينو » في شمال إيطاليا لتوسيع رقعة ممتلكاتهم وينتشروا في نواحي مونت فرات ويديمنت في شمال إيطاليا أيضاً ، وكذلك أصبحت البلاد الواقعة بين نهر « ديو » ونهر الرون مجالاً للغزو الاسلامي وأصبحت بلاد فينين وبلاد نارينزه عرضة للغزو الاسلامي ومنها انطلقت الطلائع الاسلامية لاكتشاف قوة المدن المجاورة وكان النصارى الذين ينهبون إلى روما كل عام واقعين في مرورهم في عمرات جبال الالب تحت الخطر الشديد والخوف من غارات المسلمين ، وكان أهالي البلاد التي يهاجمها المسلمون يفرون أمام قوة المسلمين القوية ويلجأون إلى الغابات والجبال ، إذ لم يكن لهم قبل بهذا الجيش الاسلامي القوي ، وكان المسلمين من الطبيعي أن يوجهوا جهودهم إلى الاستيلاء على الطرق العامة وبنوع خاص معابر جبال الالب لأنهم كانوا يرون في ذلك إخضاع البلاد المجاورة وإظهار لقوة المسلمين التي كانت تهدف في المقام الأول إلى نشر رسالة الحق لا من أجل الحصول على المغنم كما صور ذلك كتاب الغرب .

ثالثاً : إقامة الدولة العربية الاسلامية في سويسرا :

تقول المصادر التاريخية أنه في عام ٣٠٥/٩٢١م وبعد أن ازدادت القوة الإسلامية برأ وبحراً في تلك الأرجاء ومضى على إقامة المسلمين أكثر من ثلاثين عاماً قضوها في الجهاد الاسلامي وتوطيداً للدعائم وجودهم وفرض نفوذهم حتى استطاعوا إقامة دولة إسلامية عربية موطدة الدعائم ، قوية البنيان ، مرهوبة الجانب من كل الإمارات النصرانية المجاورة لها . فإنهم هاجموا قافلة إنجليزية كانت ذاهبة إلى روما بعد أن رفضوا دفع الرسوم المقررة عليهم وألقوها في بعض الودية الواقعة في جبال الالب واستأصلوها ، وبعد ذلك بسنتين أي في عام ٩٢٣م فإنهم لقوا قافلة أخرى من الإنجليز ففتكوا بها وفي عام ٩٢٩م لقوا قافلة أخرى فاضطر هؤلاء للرجوع قبل أن يقعوا في أيديهم ، وإذ ذكرنا إنه من عادة المسافرين الإنجليز الذين يقصدون إلى روما أن يجتازوا بحر

و سان برنار ، الذى هو أشهر معابر جبال الالب ، فن الواضح أن تكون هذه الوقائع ، قد وقعت على الحدود بين إيطاليا وسويسرا ، ونقول هنا أن المسلمون لم يقصدوا من وراء ذلك إلا إرهاب القوى النصرانية فى غرب أوروبا والاقبال من مكانه روما عند المسيحيين ومحاولة فرض حصار حولها ونقول أيضا إنه ربما كانت الإمارات النصرانية المحيطة بالدولة الإسلامية السويسرية تحاول بهذه الدعايات المغرضة التى جاء ذكرها فى كتابات مؤرخى الغرب ، تشويه النضال الاسلامى السامى لإطواء هذه الأراضى تحت راية الإسلام ، على أن المسلمين قطاع طرق ورجال قرصنة ، وبذلك تحرض الأمم النصرانية ضد المسلمين ، نظرا لأنهم رأوا الخطر يشهدهم وأن إماراتهم لابد واقعة تحت نفوذ الدولة الاسلامية الغنية ، فحاولوا جمع قوى النصرانية ضدها ، وإذا صدق قولهم فإن المسلمين ربما فعلوا ذلك تمهيدا لعزل روما عن العالم المسيحى الغربى وغزوها بعد استحالت أمام إخوانهم مسلمى صقلية عام ٨٤٦م لاسيما وأن مسلموا سويسرا كانوا قد بسطوا نفوذهم ومددوا نفوذهم فى بيدمت فى شمال إيطاليا وكذلك « تورنتو » وأنهم كانوا يتوجهون بأنظارهم إلى روما عاصمة المسيحية وحاول المسلمون أن يوسعوا حدود دولتهم ويعملوا على إدخال أراضى جديدة لها ونشر الاسلام بين سكان هذه الأراضى فقاموا فى عام ٩٣٣/٩٣٩م باكتساح وادى الرون الحصب وبسطوا نفوذهم وأخذوا فى إنشاء المدن والحصون والمعازل الإسلامية لضمان حماية قواتهم من هجمات ربما يقوم بها أعداء الإسلام ، ولكن فى عام ٩٤٠م جاءت قافلة مكونة من إنجلترا وفرنسا وغيرهم من دول غرب أوروبا وكانت قاصدة روما ، وبعد أن اشتبك معها المسلمون وفقدت بعض رجالها رجعت من حيث أنت لأن المسلمون كانوا قد استولوا على قرى كثيرة وأديرة عديدة فى وادى الرون وبذلك فإن المرور إلى روما أصبح يدخل ضمن أراضى الدولة الإسلامية السويسرية والتى كانت تفرض رسوم للمرور على المسافرين عبر أراضيها ، وفى نفس الوقت كان المسلمون الذين جعلوا مساكنهم فى جبال الالب المعروفة بالالب البونية ، قد بدو يشنون غاراتهم على بحيرة جنيف وبلاد إمارة لوزان ، ويبدو أنهم كانوا قد استولوا على جبال الالب

الشرقية . وإن كنا لا نستطيع تحديد تاريخ دخول الإسلام إلى جبال الألب الغربية وسيطرتهم على وديانها ، وإن كانت بعض المصادر ترجح استيلاء المسلمين على هذه الجبال قد تم عام ٩٣٦/٥٣٢١م بعد أن وطدوا نفوذهم في شرق سويسرا ولأنهم شنوا الغارات على سويسرا الألمانية الشمالية والذي لا شك فيه أن الجزء الأكبر من سويسرا الألمانية الذي يقع بين كورالي وادي الرين كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم الإسلامي عليه ورفعوا راية الإسلام خفاقة عالية في قلب أوروبا وليس هذا القسم سوى جبال الألب العليا وبهذا يكون المسلمون قد نشروا دينهم في مقاطعة فاليس عام ٩٣٩م ، وبهذا تكون سيطرتهم على جبال الألب العليا قد سبقت سيطرتهم على جبال الألب البونية .

وتقول المصادر أن الموجة الإسلامية الراحفة التي اكتسحت أوثان الشرك في قلب أوروبا قد انقسمت إلى قسمين ، قسم سيطر على جبال الألب الغربية في سويسرا والقسم الآخر سيطر على جبال الألب الشرقية وأنهم فتحوا لأنفسهم طريق على ضفاف بحيرات لانجن وكونز ، وأنهم بلغوها رغم قلة معتمدين على الله وعلى قوة إيمانهم وبسالتهم والرعب الذي وقع في قلوب أنصارى منهم وأنهم بسطوا نفوذهم على المدن والقرى واتخذوا مراكز دفاعية لهم وكانت لهم حصون يلجأون إليها عند القتال وأبراج يضعون فيها مغائهم وأنهم كانوا يهاجمون أعدائهم عندما يعبرون الأودية العميقة في جبال الألب وفي المضائق التي لا يمكن للأعداء الدفاع عنها ، ولقد استفاد المسلمون في توطيد نفوذهم من الصراع الدائر بين ملك اللومبارد في شمال إيطاليا وبين بابا روما ، إذ كان هذا الصراع فرصة لهم لكي يتمكنوا من سيطرة جبال الألب كلها سواء في الشمال أو الغرب ، ووطدوا نفوذهم ونشروا دينهم الإسلامي بين سكان تلك الجبال والأودية .

رابعا : تحالف الأمم النصرانية ضد الدولة الإسلامية :

نظراً لتخوف أمراء غرب أوروبا من الدولة الإسلامية السويسرية فإن هؤلاء الأمراء قد عملوا على عقد صلح بين أمير اللومبارد وبين بابا روما وذلك لجمع كلمة أنصارى ضد المسلمين في المنطقة وبعد أن تم الصلح فإن أمير شمال إيطاليا عمل

على مهاجمة المسلمين في معقلهم الأول والذي كان يعتبر عاصمة الدولة السويسرية وهو «فرا كسنسيوم» ومن أجل أن يحقق النصر على الدولة الإسلامية فإنه سعى إلى الاستعانة بدولة الروم في القسطنطينية ، وفي ذلك الشأن أرسل الأمير «هوجو» أمير اللومبارد لأمبراطور القسطنطينية يطلب منه أن يمدّه بالسفن الحربية التي تستخدم النار الإغريقية وذلك لكي يتم بواسطتها حرق السفن الإسلامية الراسية في ميناء «فرا كسنسيوم» وليقطع العون الإسلامي الذي ربما يأتي لهم من إخوانهم المسلمين في الأندلس ، وشمال أفريقيا وصقلية عن طريق البحر ، وعلى أن يقوم أمير شمال إيطاليا بقواته والقوات التي تصل إليه من أمراء النصرانية في وسط أوروبا وشمالها بمهاجمة المسلمين من البر ويتولى أسطول القسطنطينية مهاجمة السفن الإسلامية من البحر وكذلك المدن الساحلية ، وجاءت سفن امبراطور القسطنطينية ورست في ميناء «سان ترويز» بينما كان جيش النصاري البري يزحف بقيادة الأمير «هوجو» إلى عاصمة الدولة الإسلامية ، ولكن الأسطول البيزنطي لم يستطع أن ينزل الهزيمة بالأسطول الإسلامي بعد أن توقع المسلمون حدوث مثل هذا الهجوم فأخذوا استعدادهم وفوتوا على الأعداء الفرصة من ذلك لأن الأسطول الإسلامي والدولة الإسلامية السويسرية كانت على علم بتحركات الأعداء فاتخذت حيلتها واستعدت الدفاع عن نفسها وبذلك لم يستطع ملك شمال إيطاليا ، حتى بعد أن ضيق الخناق على المسلمين أن يستولى على معقلهم .

وبذلك فشل التحالف المسيحي ضد الدولة الإسلامية ولم يستطع الملك «هوجو» أن يحقق أهدافه من وراء هذه الحملة التي اشتركت فيها كثيراً من الإمارات المسيحية وإزاء ذلك فإنه سعى إلى استبدال العداء مع المسلمين إلى عقد صلح معهم وبعث إليهم في جبل «مورد» يعرض عليهم السلم على أن يمنعوا أعدائه من أمراء الشمال بكل الوسائل من أن يجتازوا جبال الألب بجيوشهم واشترط المسلمون عليه أن يعترف لهم بحق سيادتهم على جبال الألب الرانية وأن يعوضهم عما أصاب بعض سفنهم من جراء هجوم أسطول القسطنطينية عليه وإزاء هذا الاعتراف قام المسلمون بالسيطرة على جميع معابر جبال الألب وأصبح

المسلمون يرون أنفسهم السادة الشرعيين لهذه المعابر ، وصاروا يأخذون رسوماً من المارين والمعابر بتلك المعابر .

واستطاع المسلمون بعد ذلك التقدم من « سان برنار » والسيطرة على بلاد « فاندلند » ومقاطعة فوالتي عاصمتها لوزان وسيطروا على أقاليم وكذلك فإن العرب في عام ٩٥٥ م استطاعوا أن يواصلوا غاراتهم إلى مقاطعات « زار جانس » و « توجنبورج » وأنسجل وأخضعوا أهالي تلك الأماكن لنفوذهم وواصلوا نفوذهم وغاراتهم حتى حدود النمسا وألمانيا و « سان جالين » وبذلك فقد أصبحوا أصحاب النفوذ والسلطة في قلب أوروبا .

حتى أنهم لم يكونوا يحدثون أنفسهم يوماً بما بإمكان أية قوة أن تكون قادرة على إخراجهم من تلك الأقاليم وأنهم لذلك عملوا على الاختلاط بسكان تلك النواحي والزواج منهم والانصهار فيهم ونشر الإسلام بينهم وسكنوا الأودية الخصبة وأدخلوا المحاصيل الجديدة واستحدثوا طرقاً جديدة في الري والزراعة وخزن المحاصيل وقام المسيحيون بدفع الجزية والضرائب المقررة للسليين وحكام الإمارات الإسلامية .

ولكن إزاء النفوذ القوى للدولة الإسلامية وازدياد عظمتها ونفوذها واتساع رقعة أراضيها على حساب الإمارات المسيحية المحيطة بها ، لذا فإن الأمراء المسيحيين المحيطين بالدولة الإسلامية عملوا فيما بينهم على نبذ الخلافات والتعاون من أجل القضاء على خطر الدولة الإسلامية وبذلك فإنهم كانوا يتحينون الفرص لكي يستطيعوا القضاء عليها ، وجاءت الفرصة مواتية لهم عام ٩٧٣ م إذ كانت هناك قافلة نصرانية تضم عدداً من أقطار مختلفة من غرب أوروبا في طريقها إلى روما عن طريق معبر « سان برنار » ويبدو أن عبورهم وهم من أقطار مختلفة كان القصد من وراءه إيجاد المبرر للهجوم على الدولة الإسلامية بعد أن كان قد عقد معهم أمير اللومبارد صلحاً ، وكذلك لأن القافلة رفضت دفع الرسوم التي كان المسلمون يفرضونها على العابرين لهذا المعبر الحيوى والهام والذي يربط شمال غرب أوروبا بإيطاليا ، ولما رفضت القافلة دفع الرسوم انقض عليها المسلمون

وفتكوا بعدد كبير منها وساقوا من وقع منهم أسرى إلى كهف في الجبل وأخذ يدعوهم إلى الدخول في الإسلام ونطق شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله وإعلان إسلامهم ثم بعد ذلك يتم إطلاق سراحهم، ولكن الأسرى رفضوا ذلك فاشتراط المسلمون عليهم دفع الجزية لإطلاق سراحهم وطاف عدد من الرهبان بالإمارات النصرانية وفرنسا وإنجلترا، لجمع الأموال اللازمة لإطلاق سراح الأسرى النصارى، وحض النصارى على القتال في آن واحد ضد الدولة الإسلامية وبعد أن تم للرهبان أنثاره حماس شعوبهم للقتال في سبيل طرد المسلمين من هذه الأراضى، تم جمع الأموال اللازمة لإطلاق سراح الأسرى وصل الرهبان إلى الدولة الإسلامية، وتم دفع الجزية المطلوبة، حتى أن المصادر التاريخية تذكر أن المسلمين تقاضوا فدية قدرها ألف دينار على شخص واحد ولم يتقاضوا عن باقى الأشخاص إلا دينار واحد عن كل شخص وهذه الحادثة تعطى فكرة عن القوة التى كان يتمتع بها المسلمون فى ذلك الوقت فى فرض شروطهم فى الاستيلاء على المعابر التى تربط إيطاليا بباقى أجزاء أوروبا .

وتذكر المصادر الغربية إنه كان لهذه الحادثة صدى عظيم فى كل الأقطار الأوروبية وإرتفع الصراخ فى كل الإمارات المسيحية بعد عودة الأسرى بضرورة أخذ الثأر من المسلمين وتحالفت تلك الإمارات فيما بينها وبعثت بقواتها التى جاءت من شتى أقطار أوروبا لقتال المسلمين، ولم يأت عام ٩٧٥ م إلا وكان النصارى قد أخرجوا المسلمين من بلاد دوقية وغيرها من المدن الأخرى وكذلك من بروفانس ولم يبق أمام الزحف المسيحى إلا قاعدة الدولة وفراكسفيوم، التى حاصرها النصارى عدة شهور وأحكموا الحصار حولها وفى ذلك الوقت كانت الاضطرابات تسود الأندلس والصراع دائر بين الإمارات والعصبيات فلم تصل إلى الدولة الإسلامية السوسيرية أية نجذات من إخوانهم المسلمين وشدد النصارى الحصار ودافع المسلمون دفاع الأبطال عن عاصمتهم ولكن النصارى استطاعوا الاستيلاء على القلعة الإسلامية الحصينة وفرت حامياتها إلى الغابات وأعالى جبال الألب بعد أن سقطت العاصمة .

ولما كانت فراكسفيوم مستودعا لجميع كنوز المسلمين وذخائرهم سواء الذين

كانوا منهم في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، فقد أصابها الغاليمون الذين كانوا من أجناس أوربية مختلفة وتقاسموها فيما بينهم ، بل أكثر من ذلك فإنهم حاولوا القضاء على كل أثر من آثار الإسلام في تلك الديار ، وقد كان ضياع الدولة الإسلامية السويسرية مقدمة لضياع جنوب فرنسا والاندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط والتي صيغت بالصيغة الإسلامية العربية .

كيف سقطت سويسرا الإسلامية :

أما كيف انتهى النفوذ الإسلامي في سويسرا فالمعروف أن قلعة فراكسنيوم كانت القاعدة الأمامية إلى قرب نهاية القرن العاشر الميلادي وبواسطتها تحكم المسلمون في إقليم بروفانس وفي منطقة الألب وشمال إيطاليا وبلاد سويسرا وبذلك أضحت هذه القلعة عاصمة الممتلكات الإسلامية في تلك الأرجاء .

ولقد حاول النصارى اقتلاع تلك القاعدة الأمامية للتخلص من المسلمين فأخذ كفاحهم صورة الحروب الصليبية والوطنية وتزعم حركة الكفاح المسيحي أمير برجنديا وسويسرا الشمالية وقد استطاع النصارى حوالي عام ٩٦٠ م طرد المسلمين من جبل د سان برنار ، وبعد حوالي ٢٠ عام وقع حادث أسر القديس مايرفديس دير كلوني وقافلته خلال عودته من روما على أيدي المسلمين المتحكين في المنطقة الواقعة في أعلى نهر ديرانس ، وكان للمسلمين ثلاثة أبراج حصنة في تلك المنطقة وكان لهذه الحادثة دوى كبيرة جميع أنحاء أقطار أوروبا المسيحية نظراً لمكانة القديس فقام أمراء أوروبا بالدعوة لقتال المسلمين واستطاعوا طرد المسلمين من هذه القلاع .

وفي نفس الوقت ثار أهالي مدينة د جاب ، عاصمة الألب العليا وكان المسلمون قد بسطوا نفوذهم عليها منذ فترة طويلة واستطاعوا إجلاد المسلمين عنها وفي منطقة الألب السفلى تم طرد المسلمين من مدينة د ربي ، وتقع في شمال نهر د فرون ، أما القلعة د فراكسنيوم ، نفسها فقد جاءت نهايتها بعد محاولات عدة ومتكررة من جانب النصارى وكان أمير بروفانس المسيحي قد استنفر أمراء الولايات المجاورة له لقتال المسلمين فجهوا معه وتوجهوا نحو فراكسنيوم وأخذوا يسدون

المسالك على المسلمين ودارت معركة بين المسلمين وبين النصارى في مكان يقال له « تور تور » وانكسر المسلمون واضطروا إلى الالتجاء إلى الغابات المجاورة وسط حصن فراكسنيوم .

وهكذا سقطت القلعة الاسلامية العتيقة وهي التي بقيت في أيدي المسلمين ٨٦ عاماً (٨٨٩ - ٩٧٥م) وبزوال هذه القلعة زالت جميع الأملاك الاسلامية في جميع هذه المناطق والتي كانوا يقيمون فيها كما زال نفوذهم في منهقة الالب وفي سويسرا فيما وراء الالب واستولى المسيحيون على الاراضي التي كانت بأيدي المسلمين ووزع كونت وليام أمير بروفانس الكنوز الاسلامية والمغانم التي كانت تملأ الحصن بين قومه وبين القوات التي جاءت من الإمارات المختلفة وقد ظفر رجال الدين المسيحي بأغلب الاراضي والكنوز وذلك لأن رجال الدين من الكهنة والرهبان هم الذين حضوا الإمارات وقوادها على قتال المسلمين وضرورة الاستيلاء على أملاكهم وبذلك فانهم ساهموا مساهمة فعلية في هذه الحروب التي كانت من وجهة نظر رجال الدين المسيحي حرب مقدسة ضد المسلمين .

على أن سقوط حصن فراكسنيوم الذي كان يعتبر عاصمة الدولة الاسلامية السويسرية عام ٩٧٥م لم يعنى لإنهاء الوجود الاسلامي في تلك الاقاليم ولكن ذلك كان يعنى زوال السيادة الاسلامية وكذلك نفوذهم السياسي والديني في تلك الانحاء والتي كانت تعتبر دولة إسلامية في قلب أوروبا ، ولقد بقيت منهم بقايا متناثرة في جبال الالب تسكن قمم الجبال العالية وبقيت تعيش منعزلة عن السكان حتى عام ١٠٠٠م ولكنها لم تكن ذات خطر أو أهمية .

الاثار الاسلامية في سويسرا :

لقد ترك المسلمون آثارهم وسلالتهم واضحة قوية على الاراضي السويسرية فلا تزال توجد في وادي فاله قري كثيرة أصل أهلها من العرب المسلمين أو هم قوم من سلالة المسلمين الفاتحين لتلك المناطق والذين اندمجوا مع سائر الاهالي وأنهم يعرفون من سحناتهم وإن بعض الاهالي يقولون إنهم من أصل عربي

وأنه توجد في وادي أيفولين قرى يقال إن بها بقايا من العرب الذين اغاروا وسكنوا واستوطنوا ذلك الوادي ونشروا ديانتهم الاسلامية وحضارتهم العربية الاسلامية في ذلك المكان وأن الدم العربي لازال يوجد في بعض العائلات وإن سحنة أهلها لا تدل على أنهم من أصل سويسري ، وهناك في جبال الألب السويسرية بقايا لازت بالفرار طالبة النجاة من أيدي القوى النصرانية التي سيطرت على عاصمة الدولة الاسلامية وأنه في جنوب الألب ترك المسلمون والعرب بعض الأسماء التي لا تزال تطلق على المدن والقرى مثل على العين ، في وادي تراس ، وألب العين في وادي زاس أيضا وبلده الماغل في وادي فورس وكذلك مشابل ، وهذه الألفاظ عربية إسلامية لا ريب فيها وتوجد غيرها أسماء عربية كثيرة لهذه القرى الكبيرة في شمال الألب . وقد ترك العرب آثار عظيمة في هذه الأماكن مما يدل على عظمة الحضارة الاسلامية وقوة تأثيرها ومنها المعاقل والحصون والأبراج والقلاع . كذلك فإن المسلمين في إقليم بروفانس هم الذين زرعوا شجر البلوط ولا تزال توجد غابة تنسب إليهم كما كانوا هم الذين استخرجوا القار من أشجار الصنوبر .

كذلك ففي مقاطعة لوزان نجد حصن برج العرب عند فيفامي ودهلين العرب ، وغار العرب بالقرب من لوسنس ، وفي فيلمبورج يوجد حائط العرب وجاء ذكر هذه الأماكن الأثرية وغيرها من الآثار الكثيرة في تاريخ سويسرا وأنه لا تزال توجد حتى اليوم في جبال الألب السويسرية والقرية من حدود ألمانيا عدد من القلاع والأسوار والحصون الضخمة والفخمة وكذلك القنوات والجسور والتي يقول الإدلاء للسياح الأجانب الذين يأتون لزيارة هذه الأماكن عنها أنها ترجع للفتح العربي لسويسرا كذلك فإن كثير من الأماكن وردت أسمائها في دليل « بيدكر » عن سويسرا تدل على أنها من أصل عربي .

وأيضا بالقرب من بحيرة جنيف وعلى مسافة قريبة من دوفيليه إلى الشمال الغربي منها يوجد على مقربة من الطريق غار يقال له غار العرب ، وإن أهالي هذه الأماكن يرون بالتواتر تنقلا عن آباءهم أن هذا المكان كان يخضع للعرب

وتوجد بالقرب منه ثلاثة قصور وطريق معبد ومطبخنة ووادي صغير وجندلان من كبار الجنادل وكلها منسوبة إلى العرب .

وفي جنيف وبازل لا تزال توجد من تدل سحناتهم على العروبة والإسلام ومن أشهر من انقصب إلى أصل عربي في جنيف العلامة الفيلسوف ابن أبي زيد وكان أهل سويسرا يقولون له أبو زيت وأصله عربي من طولوز وكان أصله من العرب وكان معاصر الفولتير وكانت له المسكنة العليا في سويسرا وكان هذا العلامة يفخر بأصله العربي الإسلامي بل أنه كان زاهداً عظيم التواضع معرضاً عن الدنيا وفي جنيف اليوم شارع مشهور باسم أبي زيد .

وتلك هي قصة الإسلام والمسلمين في سويسرا نضعها بين يدي مسلمي اليوم لكي يمتصموا بحمل الله ويعملوا على جمع كلمتهم واتحاد أمتهم الإسلامية وبجابهة الأخطار المحدقة بهم وإلا ضاعت بلادهم ، كما ضاعت سويسرا وغيرها من البلاد الأوروبية التي ارتفع فوقها علم الإسلام والمعروبة .

وأواقع أن دراسة الإسلام والمسلمين في سويسرا تختلف عن غيرها من الدراسات الإسلامية الأخرى في بلاد القارة الأوروبية ذلك لأن كتب التاريخ العربي لم تتناول بالقرب أو البعد الحديث عن فتح العرب لسويسرا بل ربما أن الكتب التي كتبها المؤرخون المسلمون عن الإسلام في سويسرا لم تصل إلى أيدينا أو ضاعت مثل غيرها من المخطوطات عندما سيطرت الأمم النصرانية على هذه البلاد .

ومن هنا فإنه يجب على كل مسلم صميم أن يبحث عن تاريخ قومه وأئمارهم في تلك الاقصاع الأوروبية وأن يعرف حلقة من حلقات بسط لواء الإسلام في كل القارة الأوروبية ذلك لأن الجهاد الإسلامي جعل الأجداد يبذلون للدم والمال في سبيل نشر الدين الإسلامي الحنيف على ربوع أوروبا ذلك لأن المسلمين الأتراك كانوا يرون في الجهاد أما ضم هذه البلاد إلى رقعة العالم الإسلامي وإما الاستشهاد وضمان الجنة .

ولقد أشار إلى تاريخ غزوات العرب في سويسرا كاتب سويسري هو

وفردينا ند كبير، وجاء الحديث عن الإسلام والمسلمين مليئاً بالمغالطات التاريخية والتجني على الإسلام وإظهار الحقد على الإسلام ولم يظهر فضل الإسلام على سويسرا وعلى غيرها من الدول الأوروبية والكتاب في أسلوبه البغيض الذى أمتاز به رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى من تعصب أعمى ضد الدين الإسلامى السمع، الحق، العدل الذى هو خاتم الرسالات السماوية، وللأسف فإن الأمير شكيب أرسلان اعتمد على هذا الكتاب في الحديث عن تاريخ غزوات العرب فى سويسرا، دون أن يحاول تفنيد أباطيل هذا الكتاب أو أن يمحس حقائقه التاريخية ويبين لقراء العربية مآثر المسلمين وفضلهم على سويسرا، طوال الفترة الزمنية التى طال استقرارهم بها رغم اعتراف بعض المصادر الأجنبية بتلك المآثر .

المسلمون فى سويسرا اليوم :

إذا كانت القوى المسيحية قد استطاعت أن تتعاون فيما بينها وتقضى على دعائم دولة إسلامية قامت فى أرض سويسرا فى القرن العاشر الميلادى إلا أن نداء الحق والإيمان قد عاد أدراجه إلى حيث ما كان ليرتفع نداء الله أكبر فى سويسرا من جديد فإذا كان فى المرة الأولى قد فرض النفوذ الإسلامى وجوده كقوة سياسية ودينية وحضارية وثقافية فى تلك الانصاع من القارة الأوروبية إلا أننا نستطيع القول أن القوى الإسلامية التى تظهر اليوم فى سويسرا تشكل مدأ إسلامياً جديداً وبعثاً حضارياً للامة الإسلامية بصورة تختلف فى بعض الأشياء عن الصورة الماضية ذلك لأن صورة الوجود الإسلامى اليوم هى صورة بعث إسلامى دينى يستمد مقوماته من حركة الهجرة الإسلامية إلى تلك الديار وحركة العلاقات الدبلوماسية والعمل والدراسة بالاضافة إلى أهم عنصر وهو إيمان بعض الافراد من الشعب السويسرى بالدين الإسلامى واعتناقه عن رضا وقناعة إيماناً بعدل مبادئه وصدق كتابه ودعوة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ونستطيع القول أن عدد المسلمين الذين يعيشون فى سويسرا اليوم ١٩٧٨م يقدر بحوالى (٤٠.٠٠٠ نسمة) أربعين ألف نسمة منهم حوالى ٧ آلاف مسلم من أصل سويسرى أو من الذين حصنوا على الجنسية السويسرية ، كذلك حوالى

٢٣ ألف نسمة من البعثات الدبلوماسية والدولية والعمال والطلبة بالإضافة إلى عشرة آلاف شخص يقيمون إقامة دائمة كالتجارة أو حق اللجوء السياسى وهؤلاء المسلمون جميعاً يكونون قوة بشرية لا بأس بها وبإذن الله سوف تكون هذه النواة بداية لانتشار إسلامى لاسيما من الفئة الأولى الذين هم أصلاً من الشعب السويسرى والذين اعتنقوا الدين الإسلامى عن دراسة عميقة ومنهم كثيراً من العلماء والدارسين المهتمين بالدراسات الشرقية والإسلامية والمستشرقين كذلك ننتشر بين هؤلاء المسلمين بعض الطرق الصوفية التى جاءت من شمال أفريقيا إلى تلك الأنحاء ولما كانت سويسرا بلد أوروبا مفتوحاً لكل الأجناس نظراً لحياها الدول فإن المد الإسلامى بها سوف يبشر بمستقبل رائع وإن كان يوجد لدى الأغلبية العظمى من الشعب عداوة وتعصب ضد الإسلام ورثوه من العصور الصليبية القديمة ومن وجود تلك الدولة يوماً تحت المد الإسلامى إلا إن العلاقات القوية مع البلدان العربية والإسلامية سوف تساعد على كسر حدة التعصب المسيحى .

التنظيم الإسلامى للجماعات الإسلامية :

على الرغم من أن سويسرا لا تظهر العداء للإسلام ولا للمسلمين على المستوى الرسمى إلا إنه حتى الآن لا توجد منظمات إسلامية ذات صفة رسمية تستطيع أن تمارس دورها الفعال فى ربط هذه الأعداد الإسلامية فى تلك الديار .

إلا أنه قد بدأ يظهر فى الآونة الأخيرة وبعد السبعينات اتجاه لدى بعض الأفراد الذين يسعون لأجل الدعوة للإسلام إلى العمل على تكوين جمعية إسلامية وقد استطاعوا الحصول على تسجيل رسمى وقانونى لهذه الجمعية حتى تأخذ صفة رسمية من الجهات المسئولة فى البلاد وتعمل تلك الجمعية التى تتكون من شخصيات مختلفة المهن والأعمال على بناء مركز إسلامى وكذلك بناء مسجد كبير فى العاصمة برن وأيضاً مسجد فى جنيف حيث تتمركز أكثر الأعداد الإسلامية وحصلت الجمعية على موافقة الحكومة على بناء هذين المسجدين كذلك فإن الجمعية تقوم فى مقر مؤقت بإنشاء مدرسة فى المركز الإسلامى لتعليم أبناء المسلمين مبادئ الدين الإسلامى واللغة العربية ويصل عدد التلاميذ فى تلك المدرسة حوالى ٥٠٠ تلميذ

والجمعية نشاط ملحوظ بين الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية وتنوى الجمعية إصدار مجلة شهرية تلقى الضوء على الإسلام وتبين نشاط الجمعية للشعب السويسرى وخاصة للأجالية الإسلامية فى بلاد الشرق الإسلامى لهذه الجمعيات ومديد العون المادى والأدبى لمثل هذه الجمعيات .

الإسلام والمسلمون فى جزيرة سردينية

لقد كان الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه أول واضح لخطوة الفتوحات الإسلامية فى أوربا ، ذلك لأنه ندب أخاه فى الرضاة عبد الله بن أبى سرج لفتح شمال أفريقيا وواقته البشائر بفوز جيوشه على جيوش البينظيين ، كذلك ندب عبد الله بن عبد القيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين وكانا على الأسطول ، فأمرهما بالسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية تلك الوصية الخالدة التى يقول فيها أن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وأنكم إن فتحتم ما أقم بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية فى الأجر ، وأن أول أمير شرع فى إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ فتح أوربا هو حسان بن النعمان بعد أن دان له شمال أفريقيا بالطاعة .

ولقد كان فتح أوربا يستوجب غزو الجزر الواقعة فى البحر المتوسط لاحتياها مواقع يسهل إمداد الأسطول منها بعد أن أما موسى بن نصير وطارق بن زياد فتح الأندلس واستتب لهما الأمر فى البلاد بعد القضاء على الجيوب الشمالية من شبه جزيرة إيبيريا فان موسى أرسل عدداً من جنده لفتح جزيرة سردينية وقد استطاعت هذه القوات الإسلامية المؤمنة برسالة ربها العاملة على نشر لواء الإسلام فى شتى بقاع الأرض أن تستولى على الجزيرة وكان ذلك عام ٧٩٢ م / ٧٢٢ م وليس هناك شك فى أن أول غزوة يقوم بها الأسطول الإسلامى القليل العدد لسردنية وذلك لبعد الجزيرة عن مقر الخلافة الأموية فى دمشق وأيضاً لبعدها عن سواحل الشمال الأفريقى التى دانت ببلادها للإسلام ، وتذكر المصادر التاريخية أن سردينية قد تم غزوها بأربعة سفن فقط قامت بنقل الجنود والمعدات اللازمة للفتح ، وهذا يدل على جرأة المسلمين ومدى حماسهم فى نشر العقيدة الإسلامية السمحة .

كذلك فإنه يمكن القول أن غزو سردينية كان الهدف من وراءه هو اتخاذ تلك الجزيرة قاعدة للانطلاق منها لغزو الأراضى الفرنسية من الجنوب وغزو إيطاليا من الغرب إذ أن موقع الجزيرة يجعلها نقطة وقاعدة للانطلاق منها إلى هذه الأماكن وغيرها من بلاد غرب أوروبا ، ولقد كانت جزائر سردينية وكورسيكا وصقلية أثناء تلك الحملة تابعة لحكم الدولة البيزنطية في القسطنطينية ، ولذا فإن العرب في بداية غزورهم لها لم يكن يقصدون من ذلك الغزو والاستقرار والاستيطان بل أنهم كانوا يكتفون بالانقضاض عليها من الأطراف ومهاجمة المدن الواقعة على الساحل ولسكنهم فيما بعد أخذوا يتوغلون إلى الداخل وداسوا خلال المدن والديار .

وقد ذكر الادريسي في كتابه نزاهة المشتاق في اختراق الآفاق أن بحر الروم به عدة جزر معمورة ومشهورة ومن هذه الجزر جزيرة سردينية وهى جزيرة كبيرة القطر ، كثيرة الجبال قليلة المياه وطولها مائتان وثمانون ميلا وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلا وبها ثلاث مدن كبرى منها القبطنة وهى فى الناحية الجنوبية وهى مدينة عامرة راقية بها المباني العظيمة وبها مدينة دالموه ، وهى رأس المجاز إلى جزيرة كورسيكا والمدينة الثالثة تسمى دقشتاله ، بالإضافة إلى عدد من القرى الصغيرة وسردينية جزيرة كثيرة الفواكه أرضها خصبة وهى ثانى جزر البحر المتوسط حجما بعد صقلية ونظراً لعدم تعرج سواحلها فإن موانئها قليلة ومن ثم قلت صلاحيتها للملاحة ويوجد بمواطنها كثيراً من المستنقعات مما حمل سكانها على الانحياز للارتفاعات الداخلية ، على أن شواطئها الغربية والجنوبية صالحة للملاحة مما جعلها هدفاً للسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الأندلس ، وقد احتلها الرومان واتخذوها منفى ومن بعدهم احتلها الوندال عام ٤٧٦ م ثم البيزنطيين وظلت سردينية فى يد البيزنطيين حتى القرن العاشر الميلادى وبها عدة أنهار قصيرة وبها المياه العذبة وهى كثيرة المراعى .

مراحل الغزو :

وكان الجند الإسلامى الذى غزا الجزيرة فى عهد موسى بن نصير قد دخلوها عمداً بعد أن أخضعوا قومها من النصارى ، ومن ذلك الوقت أصبحت جزيرة

سردنية وكورسيكا معرضة لغزوات المسلمين بحيث أن أهالي الجزيرة وضعوا أنفسهم تحت حماية شلمان حفيد شارل مارتل إمبراطور الفرنجة لأن حماية الدولة البيزنطية في القسطنطينية والتي تركتهم وشأنهم يواجهون الغزوات التي يشنها العرب المتكررة على الجزيرة والتي كانت تقتل رجالهم وتسبي نساءهم وتستولي على بلادهم لم تعد تحميهم من المسلمين .

وذكر بعض مؤرخي النصارى أن بعض أهالي هذه الجزائر - سردينيا - كانوا قد تغلبوا في إحدى الغزوات على المسلمين وأخذوا منهم بعض الرايات الإسلامية وأرسلوا بها إلى شلمان الذي قبل حمايتهم من الغزو الإسلامي وعلى أثر تلك الغزوات وحماية شلمان لهم ازداد غزو المسلمين لهذه الجزائر - سردينيا وكورسيكا - فكانوا يغادرونها القتال ويرأحونها ويسبون من أهلها النساء والأطفال ويقتلون المقاومين ولم يكونوا يعفون إلا عن العاجزين والمرضى والمقعدين .

وقد ذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر وأخبارها ويقول أن أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا في البحر وإنما أهل سردينيا وذلك حينما غزاهم المسلمون وسنعرض لتلك القصة .

وقال ابن قتيبة عن قصة غزوها ، لقد قدم عطاء بن نافع الهذلي في مراكب أهل مصر وكان قد بعثه عمر بن عبد العزيز إلى سردينيا فارساً بسففته من سوسه في شمال أفريقيا وأخرج إليهم موسى بن نصير ، الأشراف وكتب له أن ركوب البحر قد فات هذا العام ، فاقم ولا تغرو بنفسك ، فاقم مكانك حتى تطيب ركوب البحر ، فلم يرفع عطاء بكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فصار حتى أتى الجزيرة ففتحها وأصاب منها مغانم كثيرة وأشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ، ثم انصرف قافلاً فأصابته ريح عاصفة ففرق عطاء وأصيب الناس ووقعوا بساحل أفريقيا فلم يبلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق في خيل إلى سواحل البحر فتفتش ما ألقى البحر من سفن عطاء وأصحابه فأصاب تابوتاً به اللؤلؤ والجواهر والدنانير .

ومن تلك الرواية يتبين لنا أن غزوا جزيرة سردينيا قد تم على سفن مصرية

جاءت من مصر وأضيفت إليها قوات من شمال أفريقيا وأن غزوها قد تم قبل فتح الأندلس ولكن ابن قتيبة لم يحدد لنا تاريخ الغزوة ولكن مهما يكن فهي إضافة إلى مجد الإسلام البحري من أجل نشر الرسالة الخالدة ومن الثابت تاريخياً أن غزوها قد تم بعد فتح الأندلس ، ومن هنا فإن تلك الراية ضعيفة السند .

المسلمون وغنائم الجزيرة :

ويذكر ابن الأثير أن المسلمون لما دخلوا الجزيرة عمد النصارى إلى ما لهم من أموال ووضموها في آنية من الذهب أو الفضة وألقوا بها جميعاً في الميناء الذي لهم بعد أن حصروا الماء عنه ثم أعادوه إلى حالته الأولى وبعضاً منهم جعلوا أموالهم في سقف كنيسة لهم بعد أن جعلوا لها سقفاً من دون سقفها الأصلي وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، وتصادف أن نزل رجل من المسلمين في الماء يغتسل ، ف وقعت رجله على شيء فأخرجه فإذا صفحة من فضة ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر فعلم المسلمون بذلك فقاموا بحبس الماء عن ذلك الموضع وأخذوا جميع تلك الآنية ودخل رجل من المسلمين إلى تلك الكنيسة التي وضعت بها الأموال فنظر إلى حمام فرماه بهم فأخطأه السهم ووقع في السقف ، وانكسر لوح فنزل منه شيء من الدنانير وأخذوا المسلمون جميع الأموال وازدادوا غلوا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرى ما في جوفها فيملأه دنانير ويخيط عليه ويلقيها في الطريق فإذا خرج أخذها (يلاحظ هنا اختلاق تلك الروايات) وكان يملأ كل فرد قائم سيفه ذهباً ، فلما ركبوا البحر غرقت سفنهم ، وقد انفقت أكثر المصادر الإسلامية في ذكر تلك القصة ، ولكن قد تكون تلك الرواية من اختلاق بعض النصارى وأخذها عنهم بعض المسلمين ، إذ أن تلك الرواية بصورتها هذه تبين أن المسلمين كان غرضهم من أجل الغزو هو الاستيلاء على الغنائم والأموال وهذا يتنافى مع الهدى الاسمى والغاية النبيلة من الجهاد الإسلامى والغزو في سبيل الله وهو نشر الدين الإسلامى الحنيف في تلك الجزر ورفع راية لا إله إلا الله فوق ربوعها وضمها لدولة الإسلام الكبرى واتخاذها موقع متقدم للزحف منه لغزو الأراضى الأوروبية ونشر الدين الإسلامى في كل ربوعها .

مواصلة الغزو :

ومنذ عام ١٣٥ هـ توالى الغزوات الإسلامية للجزيرة فقد غزاها عبد الرحمن حبيب بن أبي عبيدة الفهري فقتل بها قتالا شديداً مع أهلها من الكفار الذين كانوا ينوون ألا يسمحوا للمسلمين بغزو جزيرتهم ولكن عندما هزموا صالحوه على الجزيرة فأخذت منهم وبقيت كذلك وفي عام ٢٠٢ هـ / ٨٠٦ م اكتسح المسلمون جزيرة سردينية وكورسيكا وكان بنين بن شرلمان ملكاً على إيطاليا (ضم إيطاليا إلى أملاكه الواسعة) فأرسل أسطولاً لمطاردة المسلمين ، فلما شعر المسلمون بدنو أسطول النصارى ، انسحبوا إلى الورا فطمع فيهم أسطول النصارى فرجع إليهم أسطول المسلمين ، فقاتلوا أسطول بنين وهزموه سر هزيمة وأسروا عدداً كبيراً من رجال بحريته ، وفي عام ٨٠٨ م جاء عرب الأندلس ، فزلوا سردينية فاجتمع أهلها بمساعدة أسطول جنوة وغيرها من أساطيل المدن الإيطالية ، فاندحر المسلمون ولكن في عام ٣٢٣ هـ / ٨٠٩ م أخرج إليهم المنصور ابن القائم العلوى صاحب أفريقية ، أسطولاً من المدينة ، ففتحوا سردينية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وضربوا مدينة جنوة وغنموا ما فيها .

الغزو والاستقرار :

وفي تلك الفترة قرر المسلمون غزو الجزيرة والاستقرار النهائي بها وعدم العودة مرة أخرى من حيث أتوا وذلك لكي يتأخذوا سردينية نقطة وثوب على الأماكن الأوربية الجنوبية ، فضلاً عن الهدف البعيد وهو إنشاء قواعد إسلامية في عرض البحر لجعل البحر المتوسط بحراً إسلامياً وقد حدث أن قام في عام ٣٤٦ هـ مجاهد العامري بأسطول مكون من مائة وعشرين سفينة لغزو الجزيرة وكان معه أنف جواد وكان مشروعه للفتح والاستقرار النهائي ، وفتحها وقتل ما آلت إليه يده من الرجال المقاتلين وسبوا النساء والذرية ، والراجح أن مجاهد نزل بالقرب من مدينة كالباري ، وكانت المعركة رهبة قتل فيها الكثير وأسر الكثير ولاسيما من جانب النصارى وفيها قتل قائد أهل سردينية واستطاع مجاهد أن يسيطر على جزء كبير من الجزيرة وأن يصل إلى المناطق الجبلية ويسيطر

على كثير من المماقل والحصون ، كذلك فإن مجاهد العامري أقام بالجزيرة الكثير من الحصون والقلاع واحتط مدينة واسعة وشرع في بنائها وانتقل إليها بأهله وولده وشجع المسلمون على السكنى بها .

وتذكر الروايات النصرانية إنه لما سمع بذلك ملوك الروم اجتمعوا فيما بينهم وساروا من البر الكبير (إيطاليا) في جمع عظيم من السفن والرجال ، فاقتتلوا وانهزم المسلمون وأخرجوا من الجزيرة وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه علي بن مجاهد ولسكن مجاهد رجع بمن معه إلى دانيه ويبدو أن هجوم القوى النصرانية قد تم بدون علم المسلمين فلو أنهم علموا بذلك الغزو لآخذوا محيطتهم وهزموا المشركين ولسكن تلك المصادر لم تذكر لنا في أية عام تمت تلك الغزوة التي قام بها أهل إيطاليا لسردنية .

ولقد سبقت تلك الغزوة غزوة تمت في عام ٢٠١ هـ ، في ولاية زيادة الله بن إبراهيم الأغلبى حاكم تونس والذي فتحت صقلية في عهده وزادت قوة الأسطول الإسلامى ونفوذه في البحر الأبيض المتوسط ، فإنه تم تجهيز أسطولاً بحرياً مؤلفاً من عدة مراكب أخذت وجهتها إلى سردينيا على أمل أن يتم فتحها كما تم فتح جزيرة صقلية ولسكن بعضاً من هذه السفن قد عطلت في عرض البحر أثر هبوب عاصفة قوية ولسكن البقية الباقية من سفن الأغالبة واصلت سيرها إلى سردينيا واستطاع رجالها أن ينزلوا بالجزيرة وأن يتم لهم الاستيلاء على أجزاء كثيرة منها وأن تغنم الحملة مغنم كثيرة من الروم وتقتل أعداداً كثيرة منهم أيضاً .

وذكر ابن عذارى المراكشى في كتابة البيان المغرب في أخبار المغرب إنه في عام ٢٠٦ هـ / غزا المسلمون من أفريقيا جزيرة سردينيا وكان على رأس تلك الغزوة الميمونة محمد بن عبد الله التميمي ففتحوا الجزيرة وأصابوا من الكفار التميمي خلقاً كثيراً ثم عادوا .

كذلك فإنه في عام ٢١١ هـ / ٨٤٦م عندما قرر المسلمون فتح وغزو روما عاصمة المسيحية ، انفقت الوحدات الإسلامية البحرية المقاومة من جزيرة صقلية

والأندلس وكريت وشمال أفريقيا فيما بينهما على أن تتوحد القيادة الإسلامية في حملة واحدة وأن يكون مركز تجمع الأسطول الإسلام جزيرة سردينية وذلك لكي تتجه الأساطيل الإسلامية بجمتمع لتنفيذ خطة الهجوم المنفق عليها وهذا يبين لنا أن سردينية كانت في ذلك الوقت تخضع لسيطرة المسلمين السكالة وأنهم كانوا يقيمون بها الاستحكامات القوية وأنها اتخذت محطة لتكوين السفن الإسلامية .

ومن هذا العرض لدور الإسلام والمسلمين في سردينية يتضح أن تلك الجزيرة كانت منذ أن استتب الأمر للمسلمين في أفريقيا والأندلس محطاً لأنظارهم لما تتمتع به من موقع وأهمية استراتيجية في غرب البحر المتوسط وخاصة تزداد أهميتها للغزوات المتجهة لفرنسا وإيطاليا ومن هنا فإن المسلمون كانوا ينظرون إليها على أنها محطة لتجمع وحداتهم البحرية المهاجمة لسواحل فرنسا وإيطاليا وأيضاً فإنه يتضح لنا أن استقرار المسلمين بها لم يكن لفترة زمنية طويلة مثل غيرها من الجزر الأخرى الواقعة في البحر الأبيض المتوسط والتي خضعت للسيادة الإسلامية فترة طويلة من الزمن ، ولكن هناك أدلة قوية على أن المسلمين استقروا بها ونشروا دينهم الإسلام وحضارتهم ازاهرة والدليل على ذلك أنه توجد في ولاية غاليري من ولايات سردينية قرى أهل سكانها من العرب وأنه توجد آثار إسلامية في لوثة في جنوب الجزيرة وغيرها من الآثار والمظاهر الإسلامية ، وهذه أدلة كافية على استقرار المسلمين بها فترة من الزمن ولكن يبدو أن السيطرة على الجزيرة كانت سجالاتاً بين العرب والروم ، وأنه مهما يكن من الأمر فإن سردينية خضعت مثل غيرها من جزر البحر المتوسط للحد الإسلامي في فترة السيطرة البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط وفي فترة المد الإسلامي على أوروبا .

والحقيقة العلية تقول أنه ربما كان أصلح تعبير للغزوات الإسلامية التي تعرضت لها جزيرة سردينية حتى أنها كانت أقرب للموجات الإسلامية منها للغزو والاستقرار البعيد الذي ذلك لأنه كانت تتكرر على شواطئ الجزيرة دون أن يتمكن المسلمون من تثبيت أقدامهم فيها بسبب عدم ملائمة المناخ وشدة كفاح أهل الجزيرة وخاصة سكان الجبال وكثرة الأمواج على شواطئها ومن أجل هذا

لم تتأثر سردينية كثيراً من البلاد والجزر التي وطئها المسلمون من حيث الثقافة أو الدين أو الفن والحضارة .

لم تكن كل العمليات العسكرية والحربية الإسلامية التي كان يقوم الأسطول الإسلامي ورجاله بها لغزو الجزيرة أدت إلى قطع العلاقات بين بينزانية وجزيرة سردينية وتقااست بينزانية عن نصرتها فاعتمد أهل سردينية على أنفسهم وأمدتهم الفرنجة أحياناً بالمساعدات كما ساعدتهم جمهوريات إيطاليا البحرية مثل جنوة والبندقية وبيزا يمكن الفتوح الإسلامي الحقيقي لجزيرة سردينية تم في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي على يد مجاهد الداني العامري وفيما يتعلق بإزالة النفوذ الإسلامي فيها فإنه تم على يد حلف من بيزا وجنوة اللتين أغراهما الانتصار على يد مجاهد العامري عام ١٠٦٦م فتابعا السير بالقوات البحرية الخاصة بهما نحو جزيرة سردينية ، والواقع أن مجاهد العامري قد لاقى الكثير من الصعوبات في حكم جزيرة سردينية نتيجة تمرد بعض رجال من أسطوله بسبب رغبته في الاستمرار في الغزو والجهاد في سبيل الله (يلاحظ أن مجاهد كان نصرانياً ثم أعلن إسلامه) ، وفي ذلك الوقت أخذ مجاهد يفكر في خطة الانسحاب من الجزيرة قبل دخول قوات الفرنجة والامارات الإيطالية المشتركة ، نظراً لضعف مركزه في الجزيرة ولعدم رغبة الكثيرين من رجاله في الاستمرار بالجزيرة ولكن مجاهد صمم على الانسحاب وعلى الرغم من نصيحة قائدة البحري بعدم الانسحاب ، فإن مجاهد نفذ الانسحاب ولكن وهو في طريق العودة إلى دانيية تعرض لعاصفة بحرية قوية فاضطر إلى الارتداد مرة أخرى إلى سردينية لمحاولة الالتجاء إلى مكان أمين يحتوى فيه بسفنه غير أن السكان الذي لجأ إليه مجاهد لم يكن مكان ملائم لرسو السفن واشتدت العاصفة ووصلت سفن الأعداء إلى سردينية ودارت معركة وقعت الكارثة التي لم تسكن متوقعة ولم ينجو من سفنه إلا عدد قليل جداً وقتل جنوده ورجاله عدداً كثيراً ومنهن نساؤه وبناته وأسر ولده على ولم ينجوا من الأسطول الإسلامي إلا خمس سفن وأربع قوارب صغيرة ، ولم يفكر مجاهد بعد ذلك في غزو سردينية بعد الكارثة التي تعرض لها أسطوله ومات مجاهد عام ١٠٤٥م .

ولكن بعد ذلك بوقت قصير حدث نزاع وصراع بين جنوة وبيزا حول

الجزيرة وأحقية من فيها في فرض السيادة عليها ، فأتيجت للمسلمين العودة إليها وتم غزوها عام ١٠٥٠ م ولكن السيطرة الإسلامية على الجزيرة كانت مؤقتة وفي نفس العام المذكور تعاونت جنوة وبيزا على إزالة السيادة الإسلامية عن جزيرة كورسيكا ، ويلاحظون هذا العرض لقصة الاسلام والمسلمون في جزيرة سردينية كيف أن الوحدات المسيحية وخاصة من إيطاليا كانت تتعاون فيما بينها عندما تشعر بالخطر الإسلامي يهددهما في تلك الأنحاء من البحر المتوسط وتلك هي لمحة بسيطة وموجزة عن الإسلام والمسلمين في جزيرة سردينية أردنا بها أن نضع أمام القارئ العربي والمسلم جزء من كفاح الأجداد الطويل من أجل نشر لواء الاسلام على الأجزاء الجنوبية من القارة الأوروبية .

الاسلام والمسلمون في جزر البليار

أنه لم يأتى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلا والمسلمون كانوا هم وأساطيلهم سادة البحر الأبيض المتوسط ولم يعد هناك أثر للأسطول البيزنطى ولا لغيره من أساطيل الإمارات الإيطالية (بيزا - جنوة - البندقية) حتى إننا نجد عبد الرحمن بن خلدون يتحدث عن عظمة المسلمين في البحر المتوسط فيقول كان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشئ من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومات من الفتح وامتلكوا سائر الجزائر المتقطعة عن الساحل فيه .

وفي ذلك يقول آدم متر عن عظمة البحرية الإسلامية لم يكن لأوروبا سلطان على البحر المتوسط خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين فقد كان بحراً إسلامياً خالصاً وكان لمن يريد أن يقضى فيه لنفسه أمر أن يخطب ود المسلمين فقد سيطروا على كل جزيرة فيه من قبرص شرقاً إلى جزر البليار غرباً وسيطروا على البحار الضيقة فيه فمثلاً سدت جزيرة كريت مدخل بحر إيجه وسدت جزيرة صقلية مدخل البحر التيرانى وسدت جزر البليار خليج لبيوتر .

وهكذا أصبحت الشعوب العربية الإسلامية كما يذكر ذلك المزرخ والأمريكي المعاصر ارشيبيا ليدلويس في كتاب القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط مسيدة البحر الأبيض ومالكة زمام طرق التجارة الدولية فيه ، وذلك يرجع لسيطرتها الكاملة والتامة على كل الجزر الواقعة في البحر ولقوة الأسطول الاسلامي وعزيمة رجاله الأشداء الذين مروا البحر وتدريبوا عليه وأصبحوا سادة البحرية العالمية وأصبحت تلك الجزر خط الدفاع الأول عن كل السواحل الاسلامية المطلة على البحر المتوسط وخط هجوم على البلاد الأوروبية التي كان المسلمون يضعون هدفهم ومخططهم بسط لواء الاسلام على كل تلك البلاد وإطوائها تحت راية لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

جزائر البليار :

هي من جزائر حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي وتعرف باسم الجزائر الشرقية لوقوعها شرق الأندلس وأهم جزرها هي ميورقة منورقة يابسة، أما ميورقة فهي بالفتح ثم بالضم وسكون الواو والراء ، يلتقى فيه ساكنان وقاف ، وهي جزيرة في شرق الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة بالنون وهي جزيرة عامرة شرق الأندلس . ويابسة وهي تأنيث الشيء اليابس ضد الندى وهي جزيرة نحو الأندلس في طريق من يقلع من دانيه في المراكب يريد ميورقة فيلقاها قبلها وهي كثيرة الزبيب فيها تذاً أكثر المراكب لجودة خشبها وهذا ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان عن هذه الجزيرة التي تعتبر أهم جزائر البليار .

ولما كانت هذه الجزر تقع بالقرب من الساحل الشرقي لأسبانيا (الأندلس بعد الفتح الاسلامي) فقط ارتبطت تاريخيا بتاريخ شبه جزيرة إيبيريا على مر العصور والدهور وقد تعرضت للغزو مثل باقي الجزر البحر المتوسط ووقعت تحت نفوذ وسيطرة الإغريق ثم الفنيقيين فالرومان فالبيزنطيين ، وهذه الجزائر تشتهر بجمالها الطبيعي وخصوبة أرضها وإن كانت لم تستقل الاستقلال السكاني في تلك العصور وبعض جزرها بها أما كن صالحة لحماية الأساطيل .

مراحل الغزو الاسلامي :

تذكر المصادر العربية الاسلامية والاجنبية أن هذه الجزر قد تعرضت للغزو الاسلامي بمجرد استقرار الامر للمسلمين في أفريقيا والمغرب ، إذ أرسل موسى ابن نصير والى أفريقيا قوة بحرية بقيادة ابنه عبد الله فغزا جزيرة ميورة وهي أكبر هذه الجزر وإن كانت بعض المصادر تذكر أن فتح هذه الجزر لم يتم إلا بعد أن توطن النفوذ الاسلامي في الأندلس ويستدلون على ذلك بأن موسى بن نصير لم تكن لديه القوة البحرية الاسلامية الكافية حتى يستطاع أن يقوم بغزو هذه الجزر لاسيما أن الأسطول البيزنطي كانت له قوته وهيئته في غرب البحر الأبيض المتوسط ثم إن موسى بن نصير لم تكن لديه القوة البحرية الكافية بدليل أن القوات الاسلامية المجاهدة في سبيل الله والتي عبرت مضيق جبل طارق بقيادة طارق بن زياد ، قد تم نقلها في أربعة سفن فقط ولم تكن ملك المسلمين بل كانت ملكاً لأحد أمراء القوط المذنبين على لذريف حاكم أسبانيا .

ولقد تكرر غزو هذه الجزر دون الاستقرار بها ، إذ كان الغزو يتم لأجل إرهاب البيزنطيين وإظهاراً لقوة المسلمين ، وقد قامت غزوة إسلامية ووجهها إليها الحكم بن هشام الأموي بالأندلس عام ١٨٤ هـ ٧٩٨ م فاستعان أهل هذه الجزر بشرلمان صاحب معركة بلاط الشهداء والذي أوقف المد الاسلامي الجارف بقيادة عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء ونجحت مساعدة شرلمان لأهل هذه الجزر في أبعاد المسلمين عنها لفترة طويلة ، وذلك لأن العمليات البحرية للأسطول الاسلامي في الأندلس كانت قد اتسعت اتساعاً كبيراً في غرب البحر المتوسط حتى شملت معظم الجزر والدليل على ذلك الغارة التي تمت عام ٧٩٨ م على هذه الجزر والتي يبدو منها أن جزر البليار قد تخلت عن تحالفها مع بيزنطة .

وفي الفترة من عام ٨٠٦ - ٨١٥ م قام الأسطول الاسلامي بهجمات بحرية منتظمة على جزر البليار وكورسيكا والشواطئ الكارولنجية بل أنه في عام ٨٠٦ م قام الأسطول الاسلامي بطرد إحدى الفرق العسكرية التي كانت قد وضعها ابن شرلمان لحماية أهل هذه الجزر من الهجمات التي ربما يقوم بها الأسطول الاسلامي ،

ولكن هناك أقوال تقول هل خضعت جزر البليار لسيادة شرلمان أم لا ، بعض المصادر تقول أنه كان هناك تعاون بين أهل الجزر وبين شرلمان ولكن أرشيباليد لويس يذكر أنه بعد وفاة شرلمان عام ٨١٤م فإن أهل جزيرة ميورقة انتخبوا حفيده ، بونادين بنين بن شرلمان ، ملكا عليهم ويستدل بذلك على أنه في عام ٨١٣م قام أسطول إسلامي كبير بالاغارة على جزيرة ميورقة وبسط نفوذه عليها ، ولكنه في أثناء العودة اشتبك مع أسطول الفرنجة ويذكر أن أسطول شرلمان استطاع أن يظفر بنصر كبير على الأسطول الإسلامي تحت قيادة كونت امبورياس قرب جزيرة ميورقة وأن هذا الانتصار لم يكن هين الشأن ويستدل على ذلك بأن الأسطول الإسلامي لم يقيم بأية غارات على أراضي الفرنجة .

ولم يذكر ذلك الانتصار في المصادر الإسلامية بل أن الدكتور حسين مؤنس في حديثه عن المسلمين في حوض البحر المتوسط يذكر أنه زمن الحكم ابن هشام فإن حملة إسلامية أخرى قامت في عام ٢٠٠ هـ / ٨١٥م أى بعد وفاة شرلمان بعام واحد ، وأن هذه الحملة استطاعت أن تحقق الأهداف التي من أجلها أعدت للغزو وذلك لأن أهل ميورقة كانوا مرتبطين بعهد المسلمين .

وبعد إحراز هذا النصر الكبير فإن المسلمين روا أنه في الإمكان الإغارة على السواحل الكارولنجية دون خوف من أية قوى بحرية فبدوا لغاراتهم عام ٢١٣ هـ / ٨٣٨م بإرسال أسطول من طرلوشه إلى مرسلينا وقد زود هذا الأسطول بفرق خاصة من جزر البليار وهذا يدل على أن جزر البليار كانت قد قبلت السيادة الإسلامية عليها وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين ، بل أن السفن الإسلامية كانت لها قواعد ثابتة في تلك الجزر وأنها اتخذتها مركزاً للإمداد والتموين وتجمع سفن الأسطول الإسلامي المتجه لغزو سواحل إيطاليا الغربية وسواحل جنوب فرنسا وجزر سردينيا وكورسيكا .

وكذلك فانه في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٥٢ - ٨٢١م) حدث أن قامت فتنة في هذه الجزر وثار أهلها وخرجوا عن العهد الذي كان بينهم وبين الدولة الإسلامية في الأندلس فأرسل الخليفة

أسطولاً مكون من ثلثمائة (٣٠٠) سفينة ومركب حربي وقد نجح هذا الأسطول في تحقيق الهدف الذي أرسل من أجله ، وفي ذلك يقول ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب في عام ٥٢٣٤ هـ أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورة لنكابتهم وإذلالهم وبجاهدتهم لئلا يضرهم بمرء عليهم من مراكب المسلمين نفرتهم ثلثمائة مركب فصنع الله جيلاً وأظفرهم بهم وفتحوا أكثر جزائهم ، وتدل هذه الغزوة الإسلامية على وجود نوع من السيادة الإسلامية على تلك الجزر فضلاً عن العهد المعقود بين أهل الجزر وبين الخلافة الأموية في الأندلس وهذه الغزوة فإن الجزيرة قبلت قبولاً نهائياً أن تكون تحت السيادة الإسلامية وتهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين في البحر المتوسط والتي ربما تمر بجزرهم للتموين .

الغزو والاستقرار :

بعد كل هذه الحملات الإسلامية التي تعرضت لها جزر البليار منذ الغزو الإسلامي للأندلس فإن هذه الجزر لم تكن قد انطوت انطواءً كاملاً تحت راية التوحيد ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

إلا أنه يمكن القول أن الغزو الحقيقي الذي تبعه استقرار نهائي للمسلمين في هذه الجزر قد تم في عام ٩٠٣/٥٢٩٠ م وذلك بأن أرسل الأسطول الإسلامي في عهد الخليفة الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٥٢٠ - ٨٨٨ - ٩١٢ م) بقيادة عصام الخولاني وكان هذا القائد البحري قد صدر له مرسوم من الخليفة الأموي بأن يعين حاكماً لهذه الجزر إذ حقق فتحها واستقر الحكم الإسلامي بها ، وفعلاً فقد نجح هذا القائد المسلم في تحقيق الهدف المنشود إذ استطاع أن يفتح ميورة ومنورة أما جزيرة يابسة فإن الأسطول الإسلامي قد صرف النظر عنها وظلت تحت حكم حاكمها المسيحي وجوزا .

وحكم عصام الخولاني هذه الجزر بإسم الخلافة الإسلامية في الأندلس حتى وفاته وقد تعاقب على حكم هذه الجزر ولاية مسلمين من قبل الخلافة الأموية

الأموية بالاندلس وظلت تحت السيادة الإسلامية حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١م .

ويذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٥٦ أن دانية وميورة فقد استولى عليها مجاهد بن علي بن يوسف مولى المنصور بن أبي عامر الذي استقل يحكم شرقي الأندلس وذلك بعد الفتنة التي حدثت في الأندلس فانه كان قد ملك طرلوشة ثم تركها وسار إلى دانية واستقر بها وملك ميورة ومنورة وبابسة واستقل بملكها عام ٤١٣هـ وولى عليها ابن أخيه عبد الله ثم ولى عليها بعد أخيه مولاة الأغلب عام ٤٢٨هـ ، وملك مجاهد عام ٤٣٦هـ وولى ابنه علي وتلقب بلقب إقبال الدولة ودام ملكه ثلاثون عاما ، ثم غلبه المقتدر بن هود وبقي الأغلب مولى مجاهد على ميورة وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن علي بن مجاهد في الغزو ، واستخلف على ميورة صهره سليمان بن مشكيان نائبا عنه فأقام سليمان خمس سنين ثم مات فولى علي بن مجاهد شخص مسيحي « بشر » وتسمى ناصر الدولة فأقام خمس سنين وانقرض ملك علي بن مجاهد من دانية وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستقل « بشر » « بميورة » ولم يزل يردد الغزو إلى بلاد العدو .

وذلك بعد أن كانت قد حدثت اضطرابات في بلاد الأندلس عقب سقوط قرطبة وقيام ما عرف باسم ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨٤هـ / ١٠٣١ - ١١٩١م) فاستقل كل بما أمكنته به يده وأصبح لكل مدينة أو مقاطعة أمير مستقل يتولى جميع شئونها بل يقاتل أخاه المسلم من أجل توسيع مقاطعته على حساب جيرانه . وبلغ هؤلاء الأمراء في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي نحو عشرين أسرة مستقلة في عشرين مقاطعة أو مدينة .

وكانت دانية وجزر البليار من نصيب بنو عامر ولكن مجاهد هذا السابق ذكره صاحب أسطورة عجيبة في تاريخ العلاقات الإسلامية الإيطالية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وكانت دانية عاصمته مركز الفشاط الثقافي والحربي والاقتصادي وغدت نقطة ثوب على جزر البليار وجزيرة سردينية وكورسيكا بل صارت تلك المدينة قاعدة بحرية لاسطول إسلامي قوى ، أصبحت

الدولة الأوربية والإمارات الإيطالية تخشى بأسه وقوته ولما استفحل أمر هذا الأسطول الاسلامى فى غرب البحر المتوسط ورأت الدول الأوربية قوته وقوة رجاله فان الدول الأوربية تحالفت مع صاحب برشلونة الذى قام بمحاصرة جزيرة ميورقة عشرة أشهر حتى تم له احتلالها واستباحها عام ٥٠٨ هـ ولكن حاكم الجزيرة المسلم بعث يطلب المـسـدـد من على بن يوسف صاحب المغرب فلم يوافق أسطوله بالمدد إلا بعد أن تغلب عليه العدو وموت حاكم الجزيرة المسلم .

ولما وصل الأسطول الاسلامى من المغرب رد العدو النصرانى عنها وولى على ابن يوسف حاكما مسلما عليها من قبله هو . وأنود بن أبى بكر اللتىنى ، ثم ولى عليها على بن أبى اسحاق بن غانية صاحب عزب الأندلس فبعث إليها أخاه محمد بن على أقام فى ولايتها عشرين سنة إلى أن هلك أخوه يحيى وسلطانهم على بن يوسف واستقرت ميورقة فى ملك بنى غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحدون وانفرض بها ملك بنى غانية ، وكان بسط لواء الاسلام على هذه الجزر فى عهد الموحدين هو بداية عودة القوة الاسلامية البحرية من جديد إلى هذه الجزر بعد أن أصبحت الجزر الثلاثة وميورقة ومنورقة ويابسة ، مراكز للأسطول الاسلامى وبذلك قوى شوكة الاسلام فى هذا البحر ورجحت كفة المسلمين البحرية فى غرب حوض البحر المتوسط ، ولقد ساعد على ذلك انتشار قوة المسلمين وامتلاكهم لتلك الجزر إذ كانت جزر البليار وسردنية وكورسيكا سلسلة من الحواجز تجاه شواطئ الأندلس وشمال أفريقيا يضاف إلى ذلك سيطرة المسلمين على مضيق ميسينا الفاصل بين صقلية وإيطاليا وعلى جانبى بحر الادرياتيک حال دون مرور أية سفينة أوربية ، ولم يعد هناك منافس بالمعنى الصحيح للأسطول الاسلامى وذلك لسيطرة المسلمين على جزائر صقلية وكريت وقبرص ورودس ومالطة وسردنية وكورسيكا وجزر البليار وتحكم الأسطول الاسلامى فى المضائق ذات القيمة الحربية والاستراتيجية الهامة والواقعة على طريق التجارة بين الشرق والغرب . وصار إشراف المسلمين البحرى دقيقا وكاملا بفضل قيام أسطولهم بدورات تفتيشية على سواحل الأعداء حال دون استخدام البيزنطيين والإمارات الإيطالية لمياه البحر المتوسط .

ولقد لعبت جزر البليار الدور الكبير الذى لعبته كريت فى حماية الشواطىء المصرية وقبرص فى حماية الشواطىء السورية وصقلية فى حماية شواطىء شمال أفريقيا والبليار فى حماية شواطىء الأندلس الشرقية ، وبذلك يمكننا القول بأن سيطرة المسلمين على الجزر ذات المواقع الاستراتيجية الهامة كان لأغراض دفاعية فى المقام الأول ، أو على الأقل انتهت إلى نتيجة هى تحقيق أغراض الدفاع عن كل الشواطىء الاسلامية الواقعة على البحر المتوسط وقد صارت هذه الشواطىء فى أواخر القرن التاسع الميلادى فى مأمن من أى غزو خارجى يقوم به أعداء الاسلام لأول مرة منذ عام ٦٤٥ م ولقد بقيت جزر البليار فى أيدي الموحدين حتى ملكها الفرنجة من أيديهم فى أواخر عهد الضعف الذى وصلت إليه دولتهم .

الحضارة الاسلامية فى هذه الجزر :

لقد طبعت هذه الجزر بطابع الحضارة الاسلامية الزاهرة والفوى والاصيل شأنها شأن غيرها من جزر البحر المتوسط والبلاد الاسلامية التى خضعت للغزو والمد الاسلامى ، حيث نمت فيها حضارة إسلامية زاهرة وأبنت ثمارها حضارة ثابتة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وهذا هو شأن المسلمين فى كل مكان رحلوا إليه ووصلوه وأقاموا به فانه سرعان ما تظهر سمات هذه الحضارة فى كل فروع الحياة فى العمارة والزراعة والصناعة والفن والثقافة واللغة والاقتصاد والادارة ونظم الحكم وفى كل مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية المتطورة المتعدية والمتقدمة التى تركت بصماتها واضحة وقوية فى حضارة أوروبا التى ينعم العالم بثمرتها ، لقد انعكست مظاهر الحضارة الاسلامية فى الأندلس طوال عصورها التاريخية على هذه الجزر حتى أن التقدم الحضارى الذى شهدته الأندلس ، شهدته نفس هذه الجزر .

فالمسلمون زرعوا أرضها بعد أن قاموا باستصلاحها وأقاموا القنوات والجسور وشقوا الترع واستخرجوا معادنها وعمرُوا موانئها وأقاموا بها المساكن ذات الطابع الاسلامى وكذلك أنشأوا المساجد وظهر بها فن العمارة

الإسلامية وتقدمت بها دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية حتى أنها أخرجت العالم الإسلامي علماء أجلاء نبغوا في كل فروع الثقافة الإسلامية وعلومها المختلفة وساهموا بقسط وافر في إثراء الحضارة الإسلامية .

وقد ذكر ياقوت الحموي قائمة بأسماء هؤلاء العلماء والأدباء والشعراء والقضاة ورجال اللغة والدين والفقه (أنظر كتاب معجم البلدان) مادة ميورقة ، حنوزقة ، يابسة . ومنهم أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عشر اليايبي الشاعر ، وأديب بن النيمان الأندلسي اليايبي ، وكذلك يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبو الحجاج اللخمي الميورقي وغيرهم كثيراً من العلماء .

وتلك هي لمحة بسيطة عن دور الإسلام والمسلمين في جزر البليار ، قصدنا بها إلقاء الضوء على هذه الجزر كما سبق أن تحدثنا عن كل الجزر الواقعة في البحر المتوسط وبيننا كيف خضعت هذه الجزر للسيادة الإسلامية وكيف ساعدت في السيادة الإسلامية على ذلك البحر وبهذا تكون قد غطينا دراسة كاملة عن قبرص ، رودس ، كريت ، صقلية ، مالطة ، سردينيا ، كورسيكا ، جزر البليار .

كيف انتهت السيادة الإسلامية في أوروبا الجنوبية

لقد كان للأسباب القوية التي أدت إلى ضياع الأملاك الإسلامية في أوروبا الجنوبية وجزرها ، هو أن الجبهة الإسلامية المقابلة للعالم الأوربي المعاصر وضعت فيها عناصر الضعف والتفكك والسبب في ضعف هذه العناصر وجود ثلاث خلافت إسلامية تقسم العالم الإسلامي ويعادى بعضها البعض وهي الخلافة العباسية في بغداد ، والخلافة الأموية في الأندلس ، والخلافة الفاطمية في المغرب ثم في مصر وما حولها ، وفضلاً عن هذا الانقسام السياسي هناك انقسام ديني بين السنة والشيعة مما أدى إلى تمزيق وحدة العالم الإسلامي ، وإضعاف جبهته أمام العالم الأوربي المسيحي الذي كان يهجمه أن يرى العالم الإسلامي وقد وصل إلى

تلك الحالة من التفرق والتردى لىكى يستطيع أن يحقق أهدافه فى محاربة الاسلام . ومن هنا فإن العالم المسيحى أخذ يوحد أهدافه ويرسم خطته ويجمع صفوفه حتى استطاع أن يقضى على كل أثر لدولة الإسلام العظمى فى القارة الأوروبية وفى جزر البحر المتوسط جميعها ، ولم يكتفى بإزالة النفوذ الإسلامى السياسى والدينى ، بل أنه رسم خطته وسعى لتنفيذها حتى أنه قد استطاع أن يوغل فى قلب العالم الإسلامى بالشرق الأوسط فكانت الحروب الصليبية .

كذلك ظهور العصية بين المسلمين الفاتحين الأجزاء الجنوبية من القارة الأوروبية (الأندلس) جنوب فرنسا جنوب إيطاليا ، سويسرا - جزائر البحر المتوسط ، سردينيا ، كورسيكا ، جزر البليار ، صقلية مالطة ، كريت ، ردوس ، قبرص) .

وأخطرها الصراع الذى وقع بين عرب الحجاز وعرب الشام . . القيسية (والقحطانية) وكذلك الصراع الرهيب الذى وقع بين العرب والبربر وكان العرب قد حازوا على الجانب الأكبر من الأراضى الأوروبية والغنائم واستولوا على المراكز القيادية فى الولايات المختلفة وقد أثار ذلك حفيظة البربر الذين اعتمد عليهم الفتح الإسلامى للأندلس ، واعتقد العرب أنهم أصحاب السيادة والسيطرة على البلاد المفتوحة ، واشتدت الكراهية بين الفريقين ، وكذلك كثرت الثورات الداخلية فى البلاد المفتوحة وحدثت الفتن والاعتقالات وقد أدت هذه الأحداث إلى انتهاز الفرنجة الفرصة للتكبير بالمسلمين والعمل على طردهم من البلاد وقاد هذه الحملة سكان مضائق جبال البرانس الذين عملوا من جانبهم على قطع الصلة بين مسلمى جنوب فرنسا وإخوانهم مسلمى الأندلس ، كذلك التحرك المسيحى الذى قام به مسيحي شمال غرب الأندلس وغيرها من الحركات التى عجلت بالقضاء على النفوذ الإسلامى .

كذلك يضاف إلى هذه العوامل فى ضعف المسلمين فى أوروبا استعانتهم بالمغامرين من أعداء الدين فى حروبهم وهؤلاء مهما أدوا من خدمات للإسلام والمسلمين فإن ولاهم غير باقى الدولة الإسلام والمسلمين .

ولقد كان للسيادة العربية الاسلامية على جنوب أوروبا آثارها البعيدة المدى وقد وضحت هذه في نظم الحكم وطرق الزراعة وأحوال المجتمع والحضارة الغربية عامة ، غير أن هذا الأثر لم يتأت قط من مقام المسلمين الطويل أو القصير في أرجاء أوروبا الجنوبية ولكن أيضاً في العلاقات العامة المتنوعة وهي العلاقات التي قامت بين العالم الاسلامي والعالم الغربي .

وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم عن أثر الحضارة العربية الاسلامية في الحضارة الاوربية .
